ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟

رياضة روحيّة
لأخويّة شــــراكة وتحــرّر

ريميني 2019

صورة الغلاف: المسيح في اليمبوس يحيي المختارين

تنتمي صورة الهبوط إلى اليمبوس إلى مجموعة اللوحات الجداريّة العائدة لنهاية القرن الخامس عشر والموجودة في كنيسة القدّيس سيباستيانوس في لانسليفيّار، في أعالي منطقة سافوا. المسيح المنتصر على الموت، الذي يمثّله الشيطان المسحوق تحت أبواب الجحيم، يرفع من مملكة الأموات الأشخاص المتوفّين بقيادة آدم. تبرز بعض التفاصيل: عري المتوفّين، وهو نفس عري الأطفال عند ولادتهم. ثم فرح وجوههم، الذي يتناقض مع بكاء المواليد الجدد، لأنّهم يدركون أنّ الحياة التي هم على وشك الوصول إليها هي الحياة الأبديّة. وأخيرًا، تفصيل يسوع الممك بآدم من معصمه، وليس من يده. المعصم هو النقطة في جسم الإنسان التي نشعر فيها بالحياة، والمسيح يعيد الحياة. آدم لا يتمسّك بالمسيح، لكنّه ينقاد إليه بلفتة من التواضع الكامل.

«بمناسبة الرياضة الروحيّة التي تجمع المنتمين إلى أخويّة شراكة وتحرّر في ريميني، يرافقهم هذا العام موضوع مهمّ هو "ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟" يتقدّم الحبر الأعظم بعواطفه الوديّة، ويتمنّى بأن تكون ذكرى تضحية المسيح وتجسّده في التاريخ المساعدة الملموسة التي يقدّمها الله الآب للتغلّب على كلّ الشدائد وعلى رداءة الزمن الحاضر. وإذ يدعو البابا فرنسيس إلى التحديق في علامات الأزمنة وإلى التعرّف في العديد من قصص القداسة إلى فرصة بناء مسكن الله في العالم، يبعث إليك من كلّ قلبه، بشفاعة السيّدة العذراء مريم، النعمة الرسوليّة الملتمسة شاملا بها بكلّ سرور جميع الحاضرين وعائلاتهم والحركة بأكملها».

الكردينال بياترو بارولين، أمين سرّ قداسة البابا
12 نيسان/أبريل 2019

الجمعة 12 نيسان/أبريل مساءً

عند الدخول والخروج:
لودفيك فون بيتهوفن، السمفونيّة رقم 7 "لا ماجور" 92
هربرت فون كارايان – أوركسترا برلين
"سبيريتو جنتيل" 3، دويتشي غراموفون

المقدّمة
خوليان كارّون

قد نكون وصلنا إلى ههنا مدركين أكثر من أيّ وقت مضى أنّنا عاجزون عن جعل الأشياء الجميلة التي تحدث لنا في الحياة تدوم. وقد نكون مدركين اليوم أكثر من أيّ وقت مضى مدى حاجتنا إلى شخص يمكنه الثبات أمام وطأة الزمن مستجيبًا لحاجتنا الهائلة إلى الديمومة والاستمرار.
فلنطلب إذن الروح القدس، الوحيد القادر على الثبات والاستجابة لكلّ الرغبة في الملء التي تشكّلنا.

هلمّ أيّها الروح القدس

أبدأ بقراءة للرسالة التي بعث بها إلينا قداسة البابا: «بمناسبة الرياضة الروحيّة التي تجمع المنتمين إلى أخويّة شراكة وتحرّر في ريميني، يرافقهم هذا العام موضوع مهمّ هو "ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟" يتقدّم الحبر الأعظم بعواطفه الوديّة، ويتمنّى بأن تكون ذكرى تضحية المسيح وتجسّده في التاريخ المساعدة الملموسة التي يقدّمها الله الآب للتغلّب على كلّ الشدائد وعلى رداءة الزمن الحاضر. وإذ يدعو البابا فرنسيس إلى التحديق في علامات الأزمنة وإلى التعرّف في العديد من قصص القداسة إلى فرصة بناء مسكن الله في العالم، يبعث إليك من كلّ قلبه، بشفاعة السيّدة العذراء مريم، النعمة الرسوليّة الملتمسة شاملا بها بكلّ سرور جميع الحاضرين وعائلاتهم والحركة بأكملها. الكردينال بياترو بارولين، أمين سرّ قداسته".

1. سؤال لا يمكن إلغاؤه

لقد فوجئت جدًا بالاهتمام الذي أثاره السؤال الذي حدّدناه كعنوان لأيّامنا هذه معًا: "ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟" وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال عدد المساهمات التي أرسلتموها: ألفان. إنّني ممتنّ شديد الامتنان للمساعدة التي تقدّمونها لي في المسيرة المشتركة. لقد حدث هذا مع الطلاب الجامعيّين الذين وقعوا في مأزق أمام نفس السؤال. لكنّ المسألة بالنسبة لنا، نحن البالغين، تكتسب بُعدًا أكبر، لأنّ وراءنا سنوات وتاريخًا أطول، وبالتالي المزيد من المعلومات التي تسمح لنا بالردّ عليها. لهذا السبب قرّرنا طرح نفس السؤال في صلب رياضة الأخويّة، لأنّه يتعيّن علينا نحن أيضًا القيام بنفس التحقّق.
لقد كان تلقّي السؤال مفاجأة بالنسبة للكثيرين منكم، الأمر الذي أثار الامتنان قبل كلّ شيء. «لقد شعرت بموجة من الامتنان العارم»، تكتب إحداكم. ويقول آخر: «اسمح لي بأن أشكرك على هذا السؤال الذي أردتَ أن تشارك به كلّ فرد منّا. لقد أعاد إلينا الوعي بأنّ كلًا منّا هو قطعة من الكريزما الذي أثّر في حياتنا والذي يجعلنا هنا الآن لنأخذ سؤالك على محمل الجدّ». ويكتب آخر: «بامتنان هائل أنتظر الرياضة الروحيّة القادمة. فقلبي، على الرغم من التعب الذي يعتريه في الكثير من الأحيان، ينتظر. ماذا ينتظر؟ ينتظر سماع الربّ يتكلّم مرّة أخرى، لأنّ لا شيء يملأ قلبي مثل هذا الأمر، ولا شيء يتحدّى عقلي مثل ذلك، أي لا شيء يعزّز إنسانيّتي مثل هذا! يا لها من نعمة حدثت لي!".
إنّ الاهتمام الذي أثاره في الكثيرين منكم لهو العلامة على أنّ السؤال المطروح لم يُعتبر شيئًا مجرّدًا، بل سؤالا وجوديًّا، لمس وترًا حسّاسًا فينا، واعترض مسألة حاسمة في حياتنا، لا يمكن التهرّب منها. يدلّ الاهتمام على مدى شعورنا بالأهمّيّة الملحّة لديمومة الأشياء. وهذا ما يثير الدهشة أكثر، لأنّنا نعيش في مجتمع سائل، وبالتالي

اعتدنا على حقيقة أن لا شيء يدوم. في الواقع، إنّ نظرة على الوضع، على نمط الحياة الذي يميّز الكثيرين منّا، من الشباب والبالغين، تكشف عن عدم ثبات، وتقلّب، وعن قلقلة مستمرّة من التصوّرات المتباينة. نحن في غالب الأحيان في خضمّ دوّامة من العواطف والمشاعر، حيث يتمّ بناء كلّ شيء وتفكيكه بسرعة كبيرة؛ وبالتالي، نحن بسهولة ضحايا خيبة الأمل. لا شيء يبدو أنّه يثبت، الزمن يستهلك ويُفرغ كلّ شيء؛ وما حدث بالأمس يفقد تأثيره علينا، وسحرَه.
هذا ما قاله جورجو غابر في "الفرح غير المنطقيّ *Illogica allegria*: «أعرف عن العالم وأيضًا عن غيره / أعرف أنّ كلّ شيء يخرب"[1]. ويردّد فاسكو روسّي صداه قائلا: «لا شيء يدوم، لا شيء يدوم / وهذا ما تعرفه»[2].
ولكن إذا كان لا شيء يستمرّ، فلماذا نحن غير راضين، ولماذا نحاول – بدلًا من ذلك – ترويض أو تخدير الإلحاح من خلال اللجوء إلى بعض العقّارات، كما يفعل هويلبيك في شخصيّة روايته الأخيرة؟ فهو يكتب أنّ السيروتونين «قرص أبيض صغير، بيضاويّ، قابل للقسمة. لا يخلق ولا يحوّل، بل يفسّر. فما كان نهائيًا يجعله عابرًا؛ وما كان لا مفرّ منه يجعله عارضًا. ويوفّر لبعض الوقت تفسيرًا جديدًا للحياة، هو أقلّ ثراء، ومصطنعٌ أكثر، ويتميّز ببعض الصرامة. إنّه لا يوفّر أيّ شكل من أشكال السعادة، ولا حتى الارتياح الحقيقيّ، فعمله من نوع مختلف، ففي تحويله الحياة إلى سلسلة من الإجراءات الشكليّة، يسمح بالخداع. لذلك فهو يساعد البشر على العيش، أو على الأقلّ على عدم الموت. غير أنّ الموت ينتهي بفرض نفسه، والدروع الجزيئيّة تتشقّق، وتستأنف عمليّة التفكّك مسارها»[3].
لا يمكننا إلغاء السؤال الذي يتردّد في هذه الرياضة الروحيّة، فهو يعود، بحتميّته المطلقة. «هذه المأساة [الحياة] [...] – على الرغم من إمكانيّة التعاطي معها على أنّها لعبة، والتي يعتبرها بسطحيّة جميع أنواع المشكّكين والجهّال السعداء – هي المأساة الوحيدة. ولا يمكن تجنّبها دون التخلّي، في نفس الوقت، عن الحياة. باختصار، المأساة جدّيّة. وحياتنا ليست بمهزلة، لسبب بسيط هو أنّها فريدة من نوعها، ولا يمكنك تغيير دورك: يمكنك فقط رفضها»[4].

2. أخذ السؤال على محمل الجدّ هو أوّل بادرة صداقة

إنّ أوّل بادرة صداقة نحو أنفسنا وفي ما بيننا هو في عدم إلغاء هذا السؤال، بل أخذه على محمل الجدّ. وتتمثّل أوّل بادرة صداقة من جانب المريض نحو نفسه في أخذ مرضه على محمل الجدّ. هذا بسيط. وإذا كان لديك صديق مريض، فإنّ أوّل بادرة صداقة نحوه هي دعوته للاعتناء بنفسه. على العكس من ذلك، هناك تخلّ واستسلام هو الدليل على غياب مودّة تجاه نفسنا.
لهذا السبب، وفي أوّل صفحة من كتابه "في البحث عن الوجه الإنسانيّ"، حذّرنا دون جوسّاني من أنّ «العقبة الكبرى أمام رحلتنا الإنسانيّة هي "إهمال" الأنا». النقطة الأولى في رحلة ما للإنسان هي «عكس هذا "الإهمال"»، أي «الاهتمام بنفسه»، بشخصه. وهو اهتمام قد يبدو واضحًا، «في حين أنّه ليس البتّة كذلك»، إذ يكفي أن ننظر إلى سلوكنا المعتاد لنرى «مدى شقوق الفراغ الكبيرة التي تنفتح في النسيج اليوميّ لوعينا ومدى الذاكرة المفقودة"[5].
الشرط الأوّل الذي يذكّرنا به دون جوسّاني هو شعور بالمودّة نحو أنفسنا، كبادرة أولى من الصداقة مع أنفسنا. "إذا كانت هذه [...] المودّة لما هو إنسانيّ – وليس المودّة للإنسانيّ ككائن جماليّ، يُنظر إليه ويُعتبر بطريقة شاعريّة، بل المودّة الإنسانيّة بصفتها تعلقًا ملؤه الاحترام والرحمة، والشفقة، تجاه ذاتنا، والمودّة كأن يكون لك نحو نفسك بعضٌ من ذاك التعلّق الذي كانت والدتك تكنّه لك، خاصّة عندما كنتَ صغيرًا (وحتّى الآن وقد

---

[1] «L'illogica allegria», parole di A. Luporini, musica di G. Gaber, 1981-1982, © Edizioni CURCI.
[2] «Dannate Nuvole», parole e musica di V. Rossi, 2014, © EMI.
[3] M. Houellebecq, *Serotonina*, La nave di Teseo, Milano 2019, p. 331.
[4] D. de Rougemont, *La persona e l'amore*, Morcelliana, Brescia 2018, p. 57.
[5] L. Giussani, *Alla ricerca del volto umano*, Rizzoli, Milano 1995, p. 9.

أصبحت كبيرًا) – إذا لم يكن لدينا بعضٌ من هذا، نحو أنفسنا، فكأنّ الأرض التي سنبني عليها مفقودة".[6]
لذلك، فإنّ «الشرط الأوّل [...] لتحقيق الحركة [...] كحدث [...] هو بالتحديد هذا الشعور بإنسانيّتنا: "المودّة لنفسنا»".[7] تكتب إيتّي هيليسوم «ها هي البداية، البداية الأولى: خذ نفسك على محمل الجدّ [...]. هذا هو بالضبط ما يمكن القيام به مع القريب أيضًا: إرشاده أكثر فأكثر في اتجاه نفسه، الإمساك به ومنعه من الفرار من نفسه، مسكه بيده ومرافقته إلى الينابيع التي تنتمي إليه".[8]
من لا يلغي السؤال، بسبب عاطفة مجرّبة تجاه نفسه، هو الوحيد القادر على طرحه على الآخرين. لذلك، فالصديق الحقيقيّ هو الذي يطرح السؤال، كما طرحها علينا دون جوسّاني: «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟".[9]
إنّه سؤال يجبرنا على أن نكون نحن أنفسنا ولا يدعنا ننزلق إلى العدم. هذا ما كتبه كثيرون منكم. أقرأ بعض مساهماتكم: «شكرًا لك على إيقاظي من سباتي عبر إرسالك السؤال التالي: "ما عساه يثبت أمام الزمن؟"».
«أعتقد أنّ السؤال الذي طرحته يمكن أن يكون حقًّا سؤالًا مطروحًا عليّ أنا وليس من أجل شيء آخر، مع الاعتقاد المعتاد بأنّ هناك من سيجيب حتمًا». «شكرًا على سؤالك هذا، والذي "يلاحقني" مذ قرأته، ولا يتركني وشأني. شكرًا جزيلا لكيفيّة استحثاثك لحرّيّتنا ولكيفيّة دعوتنا للذهاب إلى العمق، كلّ وفق ظروفه الخاصّة".
«قبل أيّة كلمة، أودّ أن أخبرك أنّ حثّك هذا ساد أيّامي: رفقة عميقة عند فتحي عينيّ في الصباح وعند إغماضها ليلا».
هذا هو السؤال الذي لا مفرّ منه في نهاية المطاف. يكفي أن تضيع الخبرة التي يعيشها المرء مع صديق أو مع الحبيب كيما يبرز من جديد، حتى لو كان من الممكن صياغته بنبرة شكّ: ولكن، إذا انهارت أيضًا هذه الصداقة أو هذا الحبّ، فما الذي يثبت حقًّا؟
هناك أغنية لفرانشيسكو غوتشيني، اسمها "وداعًا"، تصف هذه الظاهرة. فهي تتحدّث عن نهاية قصّة حبّ: «كان من السهل أن نعيش في ذلك الوقت، كلّ ساعة»، «كان يبدو أنّنا وجدنا المفتاح / السرّيّ للعالم»، «وكان لقاؤنا بمثابة ولادة من جديد. / لكنّ كلّ قصة لها نفس الوهم، والنتيجة / والخطأ هو ظنّنا أنّ قصّة عاديّة كانت قصّة ممتازة»، «الزمن يتلفنا ويسحقنا».[10]
إنّها خبرة توثّقها أيضًا بعض مساهماتكم؛ على سبيل المثال هذه المساهمة: «لقد أصابني التقدّم بالسنّ بالمزيد من القساوة، هي عبارة عن دفاع أمام ما يحدث حتى لا أضطرّ إلى المعاناة منه. الحقيقة هي أنّ الزمن يهدم، إنّه غربلة لا ترحم تبرز ما لم يتمّ الحفاظ عليه، وأنا أخاف للغاية من أن أكتشف أنّه لم يبقَ ما فيه الكفاية، فأضع طبقات من النسيان، وأغطّي، وأخادع، وأعدل أيضًا عن الاستمتاع بما هو جيّد، كيلا تطفو الآلام اللاواعية ولا تفتح صدعًا ليس بإمكاني إغلاقه. يسود نوع من الضيق، فأنزوي في الطقوس والعادات، كما يفعل كبار السنّ، لذلك تبقى أجزاء من حياتي في الخارج بعناية. حتى تجربتي في الحركة أصبحت على المدى الطويل "عمّة عجوز" متعلّق بها، تشبه بكلّ أسف دمية نتعلّق بها، أو مخدّرًا أصبح مع الوقت إدمانًا ولم يعد ينفع. أعلم أنّ النقطة تكمن هنا، وأنّني كلّما سعيت للسيطرة، وكلّما أمسكت بنفسي، بقي القليل، وبرز القليل. أعلم أنه يجب عليّ أن أتعلّم تقديم ما يؤلمني أكثر، ما لا يمكنني إصلاحه، وفي أحسن الأحوال ما يمكنني أن أخفيه، كما نفعل مع الغبار تحت السجّادة».
إنّه نفس الاستنتاج المرير الذي تخلص إليه عبقريّة شارل بودلير الشعريّة: «لم يكن شبابي سوى زوبعة قاتمة / اخترقته هنا وهناك الشموس اللامعة / فقد عبث المطر والرعد ببستاني / فلم يُبقيا فيه إلا القليل من الثمار الذهبيّة / وها إنّ أفكاري قد بلغت خريفها / ولا بدّ لي من استعمال الرفش والمسلفة / لأعيد تنظيم هذه المزارع التي غمرتها المياه / وحفرت فيها حُفرًا واسعة كالقبور / من يدري ما إذا كانت هذه الأزهار الجديدة / التي كنت بها أحلم / ستجد في التربة المغسولة كالرمل / غذاءها الرمزيّ الذي يبعث فيها النشاط / أيّها الألم إنّ الزمن يُبلي

---

[6] L. Giussani, *Uomini senza patria (1982-1983)*, Bur, Milano 2008, p. 291.
[7] *Ibidem*, p. 294.
[8] E. Hillesum, *Il bene quotidiano*, San Paolo, Cinisello Balsamo (Mi) 2014, p. 44.
[9] راجع خوليان كارّون ولويجي جوسّاني، حيّ أي حاضر، ملحق مجلة تراتشي، عدد تشرين الأوّل/أكتوبر 2018.
[10] «Farewell», parole e musica di F. Guccini, 1993, © EMI-BMG.

الحياة / والعدوّ الغامض الذي ينهش قلوبنا / على دمنا المسفوح ينمو ويقوى”.[11]

إنه الخوف من أن يصبح كلُّ شيء في النهاية عدمًا، وأن يكون كلّ شيء مخادعًا ومظهرًا، كما يقول أوجينيو مونتالي: «ربّما وأنا ذاهبٌ في صباح أحد الأيّام في جوّ شفّاف / جاف، سألتفت وأرى حدوث المعجزة: / العدم من ورائي، والفراغ من ورائي / مع رعبِ من في سَكَر”.[12]
لا يسمح لنا غوتشيني أو بودلير أو مونتالي بالعودة إلى أمورنا كما كان عليه حالنا من قبل، لأنّهم يضعوننا أمام إلحاح الحياة، فهم بتشكّكهم أو عدميّتهم يجبروننا على التعمّق في السؤال. وإلا لعُشنا في يأس. كما يصف ميشال هويلبيك: «بدون أيّة رغبات أو أسباب للعيش [...]، حافظت على اليأس عند مستوى مقبول، يمكننا أن نعيش في يأس، فمعظم الناس يعيشون على هذا المنوال، وقد يتساءلون بين الفينة والأخرى عمّا إذا كان بإمكانهم الانسياق إلى نسمة من الأمل [...] ومن بعدها يجيبون سلبًا. ومع ذلك يصرّون، وهو لمشهدٌ مؤثّر”.[13]

لكنّ الصديق ليس وحده من يطرح السؤال، بل هو كذلك من لا يتراجع أمام مداه، فيهرب أو يشتّت انتباهه؛ لذلك ليس فقط من يطرح السؤال، بل أيضًا من يأخذ الأمر على محمل الجدّ. لقد جئنا إلى الرياضة الروحيّة من أجل هذا: للحصول على مساعدة في العيش في الحقيقة، دون الاضطرار إلى النظر إلى جانب آخر لأنّنا نخشى من كلّ شيء، ونخاف من العدم.
يسأل أحدكم «من يدعم عملي ووحدتي؟ من يرافقني في اختيار صعب؟ كيف يمكن إنقاذ لحظتي؟ بعد ثلاثين عامًا من التجارب التي أغنتها موهبة الإيمان، بمرور الوقت، فإنّ كلّ الأهداف الجزئيّة التي حدّدتها لنفسي وما زلت أحدّدها (بعضها حقّقتُه) تترك مجالًا لا يرحم لكي أطرح على نفسي هذا السؤال. والآن، لأقلّ من هذا السؤال [دون أخذ هذا السؤال بجدّيّة] لم أعد أرغب في تحريك إصبع من أصابعي. لا مع العائلة ولا في العمل ولا مع الأصدقاء ولا حتّى مع أشخاص مجهولين”.

3. الانتظار

في مجيئنا إلى هنا، نريد أن ندعم بعضنا بعضًا في الصراع الذي يقوم كلّ منا به ما بين عدم توقّع أيّ شيء بعد الآن وعدم القدرة على التوقّف عن التعامل مع تلك الرغبة في أن نكون سعداء التي تشكّلنا، أي مع الرغبة بسعادةٍ تدوم، ولا تذوب بظرف يوم أو موسم.
كم هي مؤلمة وكم هي منتشرة مأساة من يعتقد أنّه لا توجد إجابة على السؤال الإنسانيّ، لكنّه مع ذلك لا يستطيع محوه. هذا ما يصفه ليون تولستوي: «ينظر الرجل حوله ويبحث عن إجابات على سؤاله، فلا يجد شيئًا. يجد من حوله عقائد تقدّم إجابات على أسئلة لا يطرحها على الإطلاق، لكنّ إجابة على السؤال الذي يطرحه على نفسه ليست موجودة [...]. ويجد نفسه وحيدًا أمام عالم بكامله، مع أسئلته الرهيبة التي تحزّ في نفسه».[14] وحيدًا.

نشعر أحيانًا حتى عند الأصدقاء بالخوف من بعض الأسئلة، كما يكتب لي أحدهم: «على الرغم من كل ما عشته وسمعتُه ورأيتُه، في هذه اللحظة التي تطرح فيها عليّ السؤال، أصرف انتباهي حتى لا أشعر باليأس، لأنّ ثقل الحياة قويّ للغاية، وبخاصةٍ الخوف من ألا تكون الأمور أبديّة، وأن تفلت؛ فالوقت يمرّ ولا يبقى شيء. عندما أطرح هذه الأسئلة على أصدقائي، أشعر وكأنّني من المرّيخ، كشخص "مهووس بمعنى الحياة ويخاف من الموت"؛ لذلك انسحب، وأفكّر بيني وبين نفسي، يبدو أن لا شيء يثبت أمام وطأة الزمن».
لكنّ هذا السؤال بالتحديد، الذي يحزّ في النفس، يدفع خورخي لويس بورخيس إلى البحث دون توقّف عمّا يمكن

[11] C. Baudelaire, «Il nemico», in Id., *I fiori del male*, Feltrinelli, Milano 1991, pp. 27-29.
[12] E. Montale, «Forse un mattino andando in un’aria di vetro...», *Ossi di seppia*, in Id., *Tutte le poesie*, Oscar Mondadori, Milano 1990, p. 42.
[13] M. Houellebecq, *Serotonina*, op. cit., p. 221.
[14] L. Tolstoj, *Sulla vita*, Feltrinelli, Milano 2018, p. 78.

أن يجيب عليه: «سوف أصرّ على البحث عنه حتّى اليوم الذي / أقوم فيه بآخر خطواتي على الأرض»،[15] ملزمًا نفسه بهذه الطريقة بأن يبقى مخلصًا للنهاية مع ذاته.
قد يبدو في بعض الأحيان أنّ طرح السؤال هو ضربٌ من الجنون. ومع ذلك، فإنّ الضرورة الملحّة التي نتحدّث عنها تشكّل أساسًا هامّا لدرجة أنّ الإنسان المُخلص، على الرغم من أيّ منطق سليم في الظاهر، لا يمكنه أن يتهرّب منه في نهاية المطاف. لذلك يتمرّد ألبير كامو ويؤكّد ويصرخ بحقيقة هذا الإلحاح الذي لا مفرّ منه، من خلال شخصيّة كاليغولا: «لكنّني لست مجنونًا. بل لم أكن أبدًا بهذا القدر من الوعي. لقد جرّبت ببساطة عطشًا مفاجئا للمستحيل [...]. فالأشياء، كما هي عليه، لا يبدو لي أنّها مريحة. [...] وهذا العالم، كما هو عليه، لا يطاق. لذلك فأنا بحاجة إلى القمر، أو السعادة، أو الخلود: إلى شيء، لنقل، من الجنون، طالما أنّه ليس من هذا العالم».[16]

تقودنا الصعوبة في العثور على إجابة إلى أن نتساءل ما إذا كان ما نبحث عنه حلمًا. ليس لدى الشاعر الأسباني أنطونيو ماتشادو الجرأة على طرح هذا السؤال بجدّيّة فحسب، بل هو يشير أيضًا إلى الشرط الذي يجعله قادرًا على اعتراض علامات الإجابة، في حال وصولها: قلب يقظ، ينظر ويستمع. فيكتب: «هل غفا قلبي / يا خلايا نحل أحلامي، / ألا تعملون بعد الآن؟ هل جفّت / ناعورة أفكاري، / وفرغت الأواني، / في دورانها، وامتلأت بالظلّ؟ / لا، أن قلبي لا ينام. / قلبي مستيقظ، مستيقظ. / لا ينام ولا يحلم، بل ينظر، / والعينان الصافيتان مفتوحتان، / وإلى الإشارات البعيدة تصغي / على شاطئ الصمت العظيم".[17]
عندما نأخذها على محمل الجدّ، تقودنا الحياة إلى هناك، إلى شاطئ الصمت العظيم، أي إلى السرّ، الذي يمكننا فقط أمامه أن نبقى بعيون صافية مفتوحة وواضحة، في انتظار بعض الإشارات من السرّ نفسه، ومصغين إلى إيماءة منه. وحده من في هذا الموقف من الانفتاح الأصليّ يمكنه أن يدرك، عند ظهوره، طلوع استجابة إلى رغبة القلب، والتعرّف إلى علامات ظهوره. طرح السؤال على أنفسنا، وإطلاق العنان له، يجعلنا يقظين لاعتراض أيّ جزء من الردّ، أينما كان.
هذا ما تقوله بشكل جيّد قصيدة كتبها باتريسيو باربارو: «العين تتطلّع. [...] وحدها يمكنها أن تلاحظ الجمال [...] فالجمال تمكن رؤيته لأنّه حيّ وبالتالي حقيقيّ. وبكلمات أفضل، قد يحدث أن تراه. [...] المشكلة في أن تكون لك عينان ولا تعرف كيف ترى، ولا تنظر إلى الأشياء التي تحدث. [...] عينان مغمضتان. عينان لم تعودا تريان. لم تعودا فضوليّتين. لا تتوقّعان حدوث أيّ شيء بعد الآن. ربّما لأنّهما لا تعتقدان أنّ الجمال موجود. ولكن في صحراء طرقاتنا يمرّ الجمال، مخترقا الحدّ المحدود ويملأ أعيننا برغبة غير محدودة".[18]

4. غير المتوقّع

الجمال يمرّ، ويحدث، دون أن يطلب منّا إذنًا، ويتحدّى كلّ شكوكيّة، وكلّ عدميّة. وإذا كان المرء منتبهًا، يمكنه اعتراضه. كلّ ما يطلبه منّا هو اليقظة لمفاجأته عندما يمرّ. يكتب ألبير كامو في كتابه المفكّرات: "لا يصبح الإنسان عظيمًا بفضل العناية والإتقان. فالعظمة تأتي، إن شاء الله، مثل يوم جميل".[19]
تدور حياتنا كلّها في اعتراض اللحظة التي يمرّ فيها الجمال أمام أعيننا. كيف يمكنني أن أدرك أنّني اعترضته؟ أرى ذلك لأنّه يفتح فجأة عينيّ، ويوقظ رغبتي.
ولكن ما هو الجمال الأكثر ضرورة؟ إنّه حدوث تفضيل، التفضيل الأساسيّ الذي نتوقّع اختباره جميعًا. لأنّ التفضيل هو طريقة كلّ صحوة، كلّ تحرّر، وكلّ ولادة للإنسانيّ، للأنا.

---

[15] J.L. , «Cristo in croce», in Id., *I congiurati*, Mondadori, Milano 1986, p. 17.
[16] A. Camus, «Caligola», atto I, scena IV, in Id., *Opere*, Bompiani, Milano 1973, p. 664.
[17] A. Machado, «S'è addormentato il mio cuore?», LX, *Solitudini (1899-1907)*, in Id., *Tutte le poesie e prose scelte*, Mondadori, Milano 2010, p. 107.
[18] P. Barbaro, «*Ah uno sguardo* – dedicata a Pasolini», in «Una domanda a cui non so rispondere», a cura di F. Pierangeli, *30Giorni*, n. 11, 2000.
[19] A. Camus, *Taccuini. III, 1951-1959*, Bompiani, Milano 1992, p. 34.

يقول أحدنا: «قبل عام، قمنا بتعيين مدرّسة شابّة للتدريس في المدرسة الابتدائيّة. وكانت تعيش نفس حالة التشويش التي يعاني منها العديد من الشباب، لا سيّما القلق الناجم عن عدم كونها أبدًا على مستوى الظروف. قبل بضعة أيّام، جاءت إليّ وأخبرتني أنّها منذ وصولها إلى المدرسة تشعر بأنّ وضعها قد أصبح أسوأ من ذي قبل، لأنّ العديد من الأسئلة والجراح فُتحت. أجبتها أنّها إذن في أفضل لحظات حياتها، فالأسئلة والجراح تفتح أمام شيء يوفّر لنا الأمل إلى حدّ ما. فقالت لا، إنّ الجراح مؤلمة للغاية، وأنّها كانت تضع درعًا على الأقلّ، لكنّ هذا الدرع قد سقط في المدرسة. عندها أخبرتني قصّتها، مع كلّ المصاعب التي عانت منها. ثم ذهبت لفترة قصيرة إلى مدرسة نيومان، حيث عملت أيضًا لمدّة يومين. وعند عودتها قالت لي: "لقد حدث لي شيء ما في نيومان. شيءٌ لا أعرف ما هو. لكنّ الناس لاحظوا ذلك، فهم يقولونه لي. يقولون لي إنّني أسعد وأكثر هدوءًا. هذا ما يقوله لي رفاقي وعائلتي. أنا أيضًا أرى أنّ شيئًا ما قد حدث لي. ماذا؟ لا تقل لي إنّه الله، لأنّني لا أستطيع قبوله". قلت لها ألا تقلق على الله، ولكن أن تكون وفيّة حتى النهاية لتجربتها. سألتني: "لماذا حدث لي هذا الشيء؟ هناك كثيرون ممّن لا يؤمنون ولم يحدث شيء لهم. لعلّ ذلك يعود إلى حاجتي، إلى جرحي المفتوح؟"».

هكذا إذن، يعترض الجمال الذي يمرّ في صحراء طرقاتنا أولئك الذين يحتاجون حقًّا، أولئك الذين لديهم هذا الجرح وهذا النقاء.

ما أسهل التعرّف على الجمال – أي على وضوح تفضيلٍ يوقظ أنانا – عندما يحدث! إنّ كاوننا مختارين هو ما يجعلنا نصبح نحن أنفسنا. تقول قصيدة لبيدرو ساليناس: «عندما اخترتَني / – الحبّ هو من اختار – / خرجتُ من مجهوليّة الجميع الكبيرة / من مجهوليّة العدم [عندما يظهر الأنت فكما لو أنّه يسحبنا من العدم]. / ولكن عندما قلت لي: "أنتَ" / – لي، نعم، لي، من بين الجميع – / إلى أعلى من النجوم / أو المرجان حملتني [تحملني إلى النجوم]. / وفرحتي / بدأت تتحرّك، مقيّدة / إلى كيانك، في نبضك. / امتلاكا لنفسي أعطيتَني، / في إعطائك لي. / عشتُ حيًا. حتى متّى؟ [...] / سأكون واحدًا من بين الكثيرين / عندما لن أعود أمتلكك»،[20] فأنت حاسم جدًا بالنسبة لي لكي أصبح أنا نفسي.

لذا فإنّ السؤال الكبير المطروح أمامنا، أيّها الأصدقاء، هو التالي: هل هناك شيء، هل حدث شيء ما في حياتنا يتميّز عن كلّ شيء لا يدوم ويفقد تأثيره علينا؟ يكتب سورين كيركيغارد في يوميّاته «هنا الشيء المهمّ في الحياة: أن نرى لمرّة شيئًا، وأن نسمع شيئًا رائعًا، رائعًا لدرجة أنّ كلّ ما عداه لا يمثّل شيئًا مقارنةً به، وحتّى لو نسيت كلّ شيء آخر، فذلك الشيء لن تنساه أبدًا».[21]

لذا يتعلّق الأمر بالنظر إلى كلّ ما حدث لنا لمعرفة ما إذا كان هناك شيء أثبت قدرته على الاستمرار، وعلى مقاومة الإفراغ الذي يمارسه مرور الوقت. هل حدث شيء، هل حدث شخص في حياتنا أثبت أنّه قادر على الثبات أمام وطأة الزمن؟ هل كان هناك شيء قادر على شبك حياتنا بشكل ثابت؟ إنّه السؤال الكبير الذي يجب على كلّ واحد منّا مواجهته، بالنظر إلى تجربتنا الشخصيّة، إذا كنّا لا نريد أن ينهار كلّ شيء.

«الشيء» الذي نتحدّث عنه يسميّه مونتالي «غير المتوقّع»: «حدث غير متوقّع / هو الأمل الوحيد". لكنّ الكثيرين يؤكّدون أنّ «من الحماقة قول ذلك»،[22] وفي بعض الأحيان هذا ما نعتقده نحن أيضًا.

ومع ذلك، لن يتمكّن أيّ كان من منع ظهور شيء جديد أمام أعيننا – لأنّ هناك من الحقائق في السماء وعلى الأرض أكثر من أيّ فلسفة من من فلسفاتنا، وفقًا لصيغة شكسبير العظيم[23] –: شيءٌ «لم يكن له أن يوجد وهو موجود هنا»، على حدّ قول دون جوسّاني في عام 1968، شيءٌ «لم يكن له أن يوجد لأنّنا لم نفكّر فيه مطلقًا، لم يكن لنا أن نفكّر فيه [ولا حتى تخيّله]، وهو موجود هنا».[24]

إذا كنّا قد أتينا إلى ريميني فلأنّ هذا الأمر «غير المتوقّع» قد حدث لنا مرّة واحدة على الأقلّ، على الأقلّ في مرحلة ما، فشبك حياتنا لدرجة أنّه جعلنا نشارك في مثل هذه اللفتة. إذا كنّا قد جئنا إلى ههنا فلأنّنا ما زلنا منفتحين على إمكانية لقاء ذلك "الأنت" الذي جعلنا نخرج من المجهوليّة، وجعل كلّ واحد منّا هو نفسه حقًّا،

---

[20] P. Salinas, *La voce a te dovuta*, Einaudi, Torino 1979, p. 195.
[21] S. Kierkegaard, *Diario. I (1834-1849),* Morcelliana, Brescia 1962, p. 239.
[22] E. Montale, «Prima del viaggio», vv. 22-27, in Id., *Tutte le poesie*, op. cit., p. 390.
[23] «Ci sono più cose in cielo e in terra, Orazio, che non nella tua filosofia» (W. Shakespeare, *Amleto*, atto I, scena V).
[24] راجع خوليان كارّون ولويجي جوسّاني، حيّ أي حاضر، ملحق مجلة تراتشي، عدد تشرين الأوّل/أكتوبر 2018.

فريدًا. الكثيرون منّا ينتظرون تجدّد هذا اللقاء.
مرّة واحدة على الأقلّ، في مرحلة واحدة على الأقلّ، حدث شيء نفتقده ونحنّ إليه. أحدكم يصفه بهذه الطريقة: «أفكّر في السؤال الذي أُرسل إلينا: "ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟" يا له من سؤال! مواقف في الأسرة لا تتغيّر أبدًا، بل يبدو أنّها تحفر ببطء حفرة أكبر لنسقط فيها. علاقات وبُنى تبدو راسخة، ولكن يظهر أنّها لا توفّر في نهاية المطاف أيّة حماية. ليس ممكنًا لأنّ لا أحد يمكنه أن يضمن عدم إصابة شخص آخر بأذى شديد لدرجة أنّ الشخص الآخر لن يغفر له أو أنّ أعمق الصداقات، بناءً على الجريان الطبيعيّ للأمور، عاجلًا أم آجلًا قد تؤذي أو تخيّب آمالنا أو تتركنا وحدنا. وليست هناك بنية لا يستطيع عنفنا أو عنف الآخرين أن يفكّكها، وفقًا لمُثل معيّنة في الثورة والعدالة. ثمّ إنّ الاتّكال على طاقاتنا البشريّة أو على صلاحنا مثير تقريبًا للسخرية. بصراحة، بين الحين والآخر أنظر إلى حياتي فأراها كقبر ضخم. وفي المدّة الأخيرة، تمرّ أيّام بكاملها وأنا أشعر بهذا. من المثير للسخرية أيضًا أن أقول لنفسي: "يا سلام، الآن سأذهب إلى الرياضة الروحيّة وهناك سيخبرونني عمّا يثبت أمام وطأة الزمن، ثم أعود إلى المنزل وكلّ شيء سيكون مختلفًا". إذن لماذا آتي؟ أعتقد أنّني آتي من أجل الشيء الوحيد الذي يبدو أنّني قادر على تحديده كأمر ثابت: آخر جاذبية غير قابلة للتدمير لشيء يعيش في الحركة ولا يمكنني الانفصال عنه. آتي للبحث عن الشيء الوحيد الذي أفتقده حقًّا».
لهذا السبب فلنطلب، أيّها الأصدقاء، أن يصل نظر الربّ إلى كلّ واحد منّا من جديد، في أيّ وضع كان، أن يصله ذاك التفضيل الذي جعله يولد من جديد، حتى يتمكّن من اختبار قيمة حياته الكبيرة وأنه غير محكوم عليه بأن أراها تنزلق إلى العدم.

لنطلب إذن أن يستحوذ علينا مرّة أخرى هذا التفضيل العظيم الذي يتوقّعه كياننا: «أنت عزيز في عينيّ»؛[25] أنت، وليس شخص آخر، وليس شخص آخر غيرك؛ أنت الآن، كما أنت، وليس عندما تتغيّر. الآن! أنت غير محكوم عليك بالانزلاق إلى العدم! لأنّك عزيز جدًّا أمام عينيه.

إنّ أداة الالتزام التي نطلبها لأنفسنا هذه الأيّام هي الصمت. لذلك دعونا نساعد بعضنا البعض بجدّيّتنا، أوّلا وقبل كلّ شيء في احترامنا الصمت. فقد اعتاد دون جوسّاني أن يقول: «نحن نعيش يومًا أو أكثر بقليل معًا من أجل لحظة من الحقيقة الأكبر في حياتنا. لقد قدّمنا الكثير من التضحيات، والكثير منكم بتضحيات عظيمة حتّى يجيء؛ فلنحاول أن نستفيد لأكبر درجة ممكنة، ولنحاول أن نستمدّ منه فرح لحظة من الألفة مع الربّ أكثر اكتمالا من أفضل أيّامنا. إنّه التزام [...] يتعيّن علينا أن نحترمه، ويضمن نتائج جيّدة حقًّا [...]. وأداة هذا الالتزام هي الصمت. [...] الصمت ليس في الحقيقة عدمًا، [...] إنّه صلاة، إنّه الوعي بأنّنا أمام الله، [...] إنّه طلب". لهذا السبب، «حتّى الكتب التي يقترحونها علينا يمكننا شراؤها في صمت»،[26] مساعدين بعضنا البعض. «نوصي بالصمت أوّلا عند الانتقال من مكان إلى آخر؛ ولنحافظ على هذا الصمت المطلق أثناء دخولنا إلى الصالون حيث ستساعد الذاكرةَ الموسيقى التي سنسمعها والصورُ التي سنراها؛ وهكذا سوف نكون في موقف استعداد لننظر، ونستمع، ونشعر بعقلنا وقلبنا ما سيقترحه الله علينا بطريقة ما». لأنّ «ما نفعله سويًا في هذا اليوم ونصف اليوم ليس سوى جانب من اللفتة المُحِبّة العظيمة التي يدفع بها الربّ – كيفما لاحظت ذلك – حياتك [وحياتي] نحو ذاك القدر الذي هو هو".[27]
وبالتالي، فإنّ الصمت هو من أجل النظر جيّدًا إلى هذه الأمور (عندما يصاب المرء بقرحة في المعدة، فإنّه لا يعالجها بعدم أخذها في الاعتبار، فهو يحملها في أيّ حال، وعدم مواجهة المشكلة يجعل حياته أثقل فحسب، ولا تطاق).
لدينا فرصة أن نكون معًا، أن نكون قادرين على النظر إلى كلّ شيء دونما خوف، مثل العشّارين الذين كانوا يذهبون إلى يسوع لأنّه كان بإمكانهم معه أن يكونوا هم أنفسهم، لم يكونوا بحاجة إلى أن يكونوا في مستوى معيّن، لقد احتضنهم كما كانوا عليه.

---

[25] سفر أشعيا 43، 4.
[26] L. Giussani, *La convenienza umana della fede*, Bur, Milano 2018, pp. 211-213.
[27] L. Giussani, *Dare la vita per l'opera di un Altro*, Esercizi Spirituali della Fraternità di Comunione e Liberazione, Rimini 8-10 maggio 1992, suppl. a *CL-Litterae Communionis*, giugno 1992, p. 5.

الصمت – على الأقلّ مرّة واحدة في السنة، دعوه يدخل في أعماق قلبنا! –، الصلاة، الترتيل، التعليمات التي سنقدّمها ليست توجيهات رسميّة، بل هي اقتراحات حتى نعيش جميعًا هذه اللفتة بالجدّيّة التي تتطلّبها الحياة. يمكننا أن نحيا حياة رائعة، أيّها الأصدقاء، ولكن يجب أن نرغب في ذلك.

القدّاس الإلهيّ

القراءات الليتورجيّة: أرميا 20، 10-13، المزمور 17 (18)، يوحنا 10، 31-42

عظة دون ستيفانو ألبيرتي

إذا كنّا مخلصين، علينا أن نعترف بأنه يصدف في حياتنا نحن أيضًا أن نجمع الحجارة لنرجم يسوع: حجارة الكبرياء، والحنين المرير، والغرائزيّة، والتشهير. كلّ منّا يعلم كيف يعترف بهذا الاحتمال أمام نظرة المسيح الذي يعبّر عن علاقته بالآب. هذه هي العثرة: هذا الرجل هو الابن، إنّه ابن الآب، وابن مصيرنا.
أمامنا فرصة للمقاومة بأسبابنا – "أسبابنا" – أو لاستعادة خبرة أولئك الذين ذهبوا للبحث عنه. كثيرون ذهبوا إليه، مثلنا هذا المساء. نسترجع تلك الخبرة ذاتها انطلاقًا من إدراك أعظم عمل للآب، من خلاله، أي قلبنا كعطش للسعادة، داخل كلّ ظرف ممكن، داخل كلّ محنة، داخل كلّ خيبة أمل، القلب كعطش متحمّس لسعادة اللقاء بهذا الجمال، كما قيل لنا للتوّ.
إذا كنّا ههنا، فذلك لنلتقي ونتعرّف على هذه النظرة، على هذا الوجه، الوجه الإنسانيّ لرحمة الآب الذي يجذبنا إليه وينتظرنا.

السبت 13 نيسان/أبريل صباحًا

عند الدخول والخروج:
لودفيك فون بيتهوفن، رباعيّة على الكمان لا مينور، أوبرا 132
رباعيّة إيطاليّة
"سبيريتو جنتيل" 49، ديكّا

السلام الملائكيّ
صلاة الصبح

التأمّل الأوّل
خوليان كارّون

«طوبى لأنقياء القلوب، فإنّهم يعاينون الله» (متى 5، 8)

أمام السؤال «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟»، لا يمكن أن تكون الإجابة هي مشاعرنا أو مزاجنا، أو أفكارنا أو حججنا، والتي «لم تعد تفحم أحدًا»[28]. لذلك، دعونا نواجه سؤالنا! إنّنا لا نخشى أن نتعامل بجدّيّة مع أكثر الأسئلة صعوبة التي قد تبرز في الحياة: لا نريد أن نحيد بصرنا، لا نريد أن نكتفي بمواساة رخيصة، بل نريد أن نكون رجالًا ونساء قادرين على النظر إلى كلّ شيء.
في اجتماع للمسؤولين، طرحت طالبة جامعيّة عليّ بشكل مباشر سؤالا يجعلنا نفهم المشكلة: «في نهاية الأسبوع الماضي، تشاركنا العيش لمدّة يومين مع الطلاب الجدد للترحيب بهم، وكان هذا الأمر جميلًا جدًا بالنسبة لي وحدث لي في لحظة متعبة جدّا. وفي نهاية العيش معًا أحسست أنّني تغيّرت. النقطة الأساسيّة هي أنّني، ما إن عدت إلى المنزل، وخلال عشرين دقيقة، حدث أمر بسيط وعدت إلى طبعي العصبيّ، كما لو أن هذا الامر الذي غيّرني، الجمال الذي حدث في هذين اليومين، لم يصمد. لذلك فإنّ سؤالي هو التالي: ماذا حدث هناك وما الذي يصمد في الحياة اليوميّة؟».
يمكننا القول، وفي ترسيم إلى أقصى حدّ من أجل توضيح الأمر بطريقة بسيطة للغاية، إنّ الموقف الذي غالبًا ما نجد أنفسنا فيه هو إنّنا نأتي من تجربة "ألف" (في هذه الحالة، لحظة متعبة للغاية) ويحدث "باء" (تذهب تلك الفتاة إلى العيش المشترك وشيء ما يحرّكها، يجعلها مختلفة)، ولكن بعد فترة، وكما لو أنّ شيئًا لم يحدث، كما لو أنّ باء لم تحدث، نعود إلى ألف ونجد أنفسنا مرّة أخرى في نقطة البداية. يبدو أنّ ما حدث لنا قد اختفى، أن ليس لديه القدرة على الاستمرار، على عبور الزمن، على مواصلة تغييرنا.
قد يكون وصف الطالبة الجامعيّة ساذجًا إلى حدّ ما، لكنّ المضمون هو نفسه، كما قال لنا دون جوسّاني في لقاء بداية العام: يحدث لنا أمرٌ جذريّ – غير متوقّع، لا يمكن التنبّؤ به –، لقاء لا مثيل له، جمال يغيّرنا، ولكن يبدو لنا بعد ذلك أنّ هذا الحدث يقتصر على لحظة، مثل موجة في البحر تتراجع بعد أن تلامس الشاطئ ويعود كلّ شيء كما كان من قبل: نحن نميل إلى إعادة ما حدث لنا لتجربتنا السابقة، إلى حكمتنا السابقة.[29]
هذه هي مأساتنا. لذلك دعونا نواجهها، كما فعلت تلك الفتاة بصراحة! ما هي العوامل التي ينطوي عليها هذا التلاشي الواضح، هذا التراجع، للحدث الجديد الذي وقع لنا؟ لماذا نعيش هذا الشك وهذا التقلّب؟

1. شيءٌ «لا يمكنك فيه العودة إلى الوراء»

---

[28] Cfr. H.U. von Balthasar, *La percezione della forma. Gloria. Una estetica teologica*, vol. I, Jaca Book, Milano 1975, p. 11.

[29] راجع كارّون وجوسّاني، حيّ أي حاضر، مرجع مذكور، ص 9.

لمعالجة السؤال المطروح، «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟»، ينبغي أوّلا أن ننظر إلى خبرتنا.
تقدّم لنا عبارة كيركيغارد التي ذكرناها الليلة الماضية معيارًا لإيجاد الإجابة. «هاكم المهمّ في الحياة: أن تكونوا رأيتم مرّةً شيئًا، أن تكونوا سمعتم شيئًا رائعًا، رائعًا لدرجة أنّ أيّ شيء آخر ليس شيئًا مقارنةً به، وحتّى لو نسيت كلّ شيء آخر، فلن تنسوا أبدًا ذلك الشيء».[30]
هل حدث شيء في حياتنا لم ننسَه قط، شيء عظيم جدًا، رائع، أثبت أنّه قادر على تحدّي الزمن، ومزاجاتنا، والظروف، ومرافقتنا حتى في أكثر اللحظات مأساويّة من حياتنا؟ وكما ذكرت إحدى رسائل الليلة الماضية: «إذن لماذا أتيت [ولا أزال]؟ أتيت من أجل [...] آخر جاذبية غير قابلة للتدمير لشيء يعيش في الحركة ولا يمكنني الانفصال عنه. لقد جئت للبحث عن الشيء الوحيد الذي أفتقده حقًا».
هذه الاستمراريّة، هذه المقاومة – الجاذبيّة التي لا تُقهر التي أتى من أجلها صديقنا – هي «العلامة» التي تجعلنا نفهم أهمّيّة ما حدث لنا.
يقول هوغو دي سان فيتّوري: «الفقر الأبديّ يضغط على من يعيش كل يوم، إذا لم يجد حبًا يدوم كلّ يوم».[31]

أ) اللقاء
الإشارة الأولى للإجابة على سؤالنا، باتباع المعيار الذي قدّمه كيركيغارد، موجودة في حقيقة وجودنا هنا. فإذا كنّا هنا – كما ذكر الصديق – فذلك لأنّنا صادفنا أشخاصًا جعلونا نختبر تفضيلًا فريدًا،مجّانيًا تمامًا، وجعلونا نختبر امتلاءً واهتزازًا إنسانيًا رفعنا، وجعلنا نحن أنفسنا، وأزال خوفنا وملأنا بالأمل والفرح. لقد حدث لقاء شعرنا فيه على الأقلّ عرضًا بشيء جديد ومختلف، أظهر ما نحن عليه في الحقيقة.
هذه هي الخبرة التي عشناها. يقول فون بالتازار إنّ الحبّ الذي وجهه الله لي من خلال بعض الوجوه «يجعلني ما أنا عليه في الحقيقة و [...] يجعلني فريدًا أنا أيضًا».[32] يمكنك أن تكون أكثر هشاشة بمئات المرّات، وعديم الاتّساق بشكل أكبر، وأكثر ارتباكًا ممّا أنت عليه، ولكن هناك شخص ما يجعلك تواجه هذا التفضيل المجّاني مطلقا: «أنت عزيز في عيني».
إنّه واضح، إنّه ذو وضوح لا مثيل له: نحن هنا، وهنا أستعيد مرّة أخرى كلمات لقاء يوم البداية، لأنّ حضورًا مليئًا بالاقتراح، ومعنى الحياة، وفي الوقت نفسه مليئًا بالمودّة نحو أنفسنا، بالاختيار وبالتفضيل، قد بلغنا، كلٌّ في ظروفه الخاصّة.[33] لقد فتح هذا الأمر أمامنا وشاركنا فيه أكثر من أيّ شيء آخر. لقد رأينا نوعًا مختلفًا من العلاقة بين الأشخاص، وطريقة أكثر إنسانيّة للتعامل مع بعضنا البعض، و«تعايشًا»، و«حياة» كان فيها شيء جديد، وعدٌ، ملأنا بالذهول؛ لقد انجذبنا، واقتربنا، واستحوذ علينا الفضول.
كانت بداية كلّ شيء في «اللقاء بحقيقة موضوعيّة [...]، واقعها الوجوديّ هو واقع جماعة موثّقة بشكل معقول كما هو حال أيّ واقع بشريّ بكامله؛ جماعة يشكّل صوت سلطتها البشريّ في أحكامه وتوجيهاته المعيار والشكل. لا توجد نسخة من الخبرة المسيحيّة، مهما كانت داخليّة، لا تتضمّن في نهاية المطاف على الأقلّ هذا اللقاء مع الجماعة وهذه الإشارة إلى السلطة».[34]
كان من الممكن اللقاء بجماعة مسيحيّة حيّة أو بشخص يوثّق في أعيننا تنوّعًا ملموسًا في الحياة،[35] ولكن وقع لنا لقاء جذبنا – وكما يقول كيركيغارد – لا يمكننا نسيانه، لا يمكننا إلغاءه (ليس بمقدورنا نزعه عنّا حتى لو أردنا).
كتبت لي طالبه جامعيّة: «بحكم طبيعتي كنت دائمًا أحبّ التراجع والتنازل، والهدوء داخل أسواري، ودراسة عشتها كهروب من العالم. يمكن للمرء أن يفكّر قدر ما يريد أنّ الحياة بائسة، كي يجد راحته الشخصيّة، وأنّه لا

---

[30] S. Kierkegaard, *Diario. I (1834-1849)*, op. cit., p. 239.
[31] Ugo di San Vittore, *De arra anime. L’inizio del dono*, Glossa, Milano 2000. p. 13.
[32] H.U. von Balthasar, «Significato dell’antica Alleanza», in H.U. von Balthasar-L. Giussani, *L’impegno del cristiano nel mondo*, Jaca Book, Milano 2017, p. 38.
[33] «إنّهم لم يؤمنوا لأنّ المسيح تحدّث عن هذه الأشياء، ولم يؤمنوا بها لأنّ المسيح قام بهذه المعجزات، ولم يؤمنوا لأنّ المسيح نقل عن الأنبياء، ولم يؤمنوا لأنّ المسيح أقام الأموات. [...] لقد آمنوا بحضور. حضور غير عار ولا بليد، حضور ذو وجه: حضور ذو وجه دقيق [...]. وبالتالي فإنّ حضورًا مليئًا بالاقتراح هو حضور مفعم بالمعنى». (راجع كارّون وجوسّاني، حيّ أي حاضر، مرجع مذكور، ص 8).
[34] L. Giussani, *Il rischio educativo*, Rizzoli, Milano 2005, p. 130.
[35] Cfr. L. Giussani - S. Alberto - J. Prades, *Generare tracce nella storia del mondo*, Rizzoli, Milano 1998, pp. 24-26.

توجد أسباب للانخراط، لكنّه يستطيع أن يقوم بذلك إلى حين تأتيه نعمة الالتقاء بأشخاص يعيشون مليئين بالأسباب، مليئين بالذوق والمعنى [وهذا هو ما يشكّل الفرق ؛ وبمجرّد رؤيتك له، كلّ شيء يصبح مختلفًا]. إنّ التعرّف إلى الحركة بالنسبة لي تعني هذا: لقد كان لقاءً مع أناس تتّقد إنسانيّتهم، ما إن تتعرّف عليها حتى لا تتركك بسلام، تعذّبك، بمقدورها أن تجعلك تتوق إلى حياتك السائرة بشكل سيّء». لقد أدخل اللقاء إذن في حياتها عاطفة نحو نفسها لم تكن تستطيع الحصول عليها. وبمجرّد التعرّف إلى هذه الإنسانيّة المختلفة، لا يمكنها إلا أن تشعر بالشغف لحياتها. لكنّها تضيف بعد ذلك: «لهذا السبب أشعر بالخوف عندما يكتب لي أحد هؤلاء الأصدقاء ويبحث عنّي، لأنّني أعلم أنّ ساعة واحدة معهم ستضع موضع نقاش أيّ موقف لي، وستخلق فيّ ذلك الشعور الذي يمكن التعرّف عليه بسهولة عندما تنظر إلى شيء ضخم وجميل وتشعر أنّه يمكن أن يكون لك أيضًا». إنّه رائع! المقاومة – كما قال لنا جوسّاني مرّات عديدة – هي ضدّ الجمال.[36] نحن خائفون من جمال ما رأيناه.
وتتابع الرسالة: «بالطبع، ظلّ خوفي على حاله. ومع ذلك، نسيت الكثير، ولكن لم أنسَ تلك العيون التي نظرت إليّ، لأنّ فيها كان كلّ الحبّ الذي كان سيأتيني في السنوات التالية والذي يعود بإصرار للبحث عنّي، لاستعادتي بإخلاص يتجاوز المنطق وهو السدّ الوحيد والأخير أمام إغراء السماح لنفسي بالعيش».
اللقاء بظاهرة الإنسانيّة المختلفة: هكذا بدأ كلّ شيء. مثل يوحنا وأندراوس، وجدنا أنفسنا أمام حضور استثنائيّ مليء بالاقتراح، مفعم بمعنى الحياة.[37]

ب) معنى اللقاء
ولكن لا يكفي أن يحدث اللقاء. فنحن بحاجة إلى إدراك معناه. بخلاف ذلك، كما يحدث في كثير من الأحيان، نعود إلى الحكمة السابقة، إلى طريقتنا المعتادة في النظر إلى الأشياء، إلى عقليّة الجميع. هنا تبدأ النقطة بالظهور على السطح: عندما نعود إلى النقطة "ألف" بعد رؤية "باء"، معتقدين أنّ كلّ شيء قد اختفى، فذلك لأنّنا لم ندرك مدى ما حدث لنا. في الواقع، لكسب شيء ما في تجربتنا علينا أن ندرك معناه.
وهذا ينطبق على كلّ شيء: «إنّ ما يميّز الخبرة هو فهم شيء ما، واكتشاف معناه. الخبرة تستدعي بالتالي فهم معنى الأشياء».[38] فالواقع لا يتمّ تأكيده حقًا أو ادراكه إذا لم يتمّ تأكيد معناه.
إليكم ما كتبته إحداكم:
«في الأشهر الستّة الماضية، غمرني تغيير كبير قلب مجرى حياتي تمامًا، وأحدث ألمًا عميقًا في نفسي. الأمر الذي تركني أكثر تشوّشًا هو أنّ هذا الألم نشأ من أحد أجمل الأشياء التي حدثت لي على الإطلاق ؛ باختصار، لقد كانت مفارقة كبيرة. وبالتالي، وبسبب الفشل في العثور على إجابات ذات معنى لما حدث لي، تدريجيًا تقريبًا ودونما إدراك منّي، نضج فيّ على مرّ الشهور شعورٌ العدميّة الكاملة واللامبالاة وقلة المعنى. وفي أحد الأيام، دعاني صديق كبير لي للمشاركة في مدرسة الجماعة. حضرتها لعدّة أشهر، دونما سبب محدّد، ولكنّني واصلت. وأدركت أنّ مدرسة الجماعة تقول الحقيقة المطلقة عن حياتي، وتُظهر لي أيضًا طريقًا نحو الأشياء التي بدت معَدّة لي أنا، والتي من شأنها أن تجعلني أكثر سعادة. كما لو انّها فتحت عينيّ. ولأوّل مرة أدركت بأنّني كنت أتابع أشياء تبدو في نظري مريحة وجذابة وواعدة، ولكن تبيّن أنّها في الواقع منغلقة على نفسها. لكنّني تابعتها لأنّني كنت مخّدرة بعقليّة العالم الدنيويّة، ولذا لم أطرح على نفسي الكثير من الأسئلة. وفي الأشهر القليلة الماضية، بدأت أرغب بأشياء يمكنها أن تثبت أمام محن الحياة، وتكون ذات معنى، ووجوه حقيقية. والحمد لله التقيت بالحركة. في مواجهة هذا الوعي، شعرت للمرّة الأولى كما لو كنت ممتلئة وسعيدة حقًا، ولكن بسعادة دائمة لا تقتصر على فترة ما بعد الظهر في مدرسة الجماعة. من الواضح أنّ هناك "من" يعرف أكثر منّي ما يريده قلبي وخطّط كلّ شيء حتّى أتمكن من الارتقاء إلى مستوى أسئلتي».
لذلك يجب علينا أن ندرك حقيقة ما حدث، وطبيعته، لأنّنا إذا لم نفهم تمامًا اختلافه، والسبب الكامن وراء اختلافه، فإنّنا سنتعامل معه كما لو كان أيّا من الأشياء التي تحدث في الحياة، التي تعِد كثيرًا ثم تخيّب الآمال لأنّها

[36] Cfr. L. Giussani, *Affezione e dimora*, Bur, Milano 2001, pp. 66-67.
[37] «يوثّق الفصل الأوّل من إنجيل يوحنا الطريقة البسيطة والعميقة للغاية التي ظهرت بها المسيحيّة في التاريخ: طرح حدث بشريّ لنفسه، اللقاء بحقيقة حضور استثنائيّ».(L. Giussani - S. Alberto - J. Prades, *Generare tracce nella storia del mondo*, op. cit., pp. 11-12).
[38] L. Giussani, *Il rischio educativo*, op. cit., p. 127.

تنتهي، كما لو أنّ المسيحيّة كانت واحدة من تعدّد الآلهة في عقليّة الجميع، وواحدة من المحاولات العديدة المقدّر لها أن تفشل.
ليس أمرًا مفروغًا منه فهم مدى شيء عشناه. وهذا ما يتّضح من حقيقة أنّ الحدث الذي حدث لنا لا يحدّد وعينا الذاتيّ وعملنا، فلا يوجد نموّ للوعي، ولا يزداد الأنا، ولا يصبح اللقاء حاسمًا بالنسبة لعلاقتنا مع الواقع. لهذا نواصل البدء من الألف بدلًا من الباء. كما هو الحال عندما يحلّ صبيّ معضلة في الرياضيّات عن طريق الصدفة، دون أن يدرك السبب وفي المرّة التالية لا يواجه المشكلة الجديدة بزيادة في المعرفة فيجد نفسه في نقطة البداية. إنّ حلّ المشكلة عن طريق الصدفة، دون فهم السبب، لم يساعده في شيء. كذلك الأمر في الحياة: قد تحدث لنا حقائق مثيرة ولا نتعلّم شيئًا. إذا لم يتمّ إدراك معنى الحدث – مهما كان مثيرًا – ولم ينجح في تحديد وعينا الذاتيّ، فإنّه لا يخدم أيّ غرض. فكّروا في البُرص التسعة الذين شفاهم يسوع أو بالكتبة أمام الرجل الأعمى الذي كان شفاه.
في المقابل، كم يختلف الأمر عندما يدرك المرء شيئًا ما يدخل حياته!
أضرب مثالًا للمساعدة على التوضيح. إنّه حدث وقع لجوسّاني. عند الاستماع إلى مقطوعة "لا فافوريتا" للموسيقار دونيزيتّي في الصفّ الأوّل الثانويّ، الفرع الأدبيّ، حدث له شيء بقي مكنوزًا في قلبه، وعندما رواه بعد سنوات عديدة نرى أنّه بقي مؤثرًا. «عندما انطلق مغنّي التينور الممتاز بعبارة Spirto gentil في أحلامي...، وعند اهتزاز النوطة الأولى شعرت بحدسي، وبكلّ تلهّف، أنّ من نسمّيه"الله" – أي القدر الذي لا مفرّ منه الذي يولد كلّ إنسان من أجله – هو نقطة وصول الحاجة إلى السعادة، هو تلك السعادة التي يكون القلب فيها حاجةً لا يمكن كبتُها».[39] في تلك اللحظة، عند استماعه إلى تلك النوطات وتلك الكلمات، شعر جوسّاني بحدسه بشيء لم يختفِ صباح اليوم التالي، وكان لديه تصوّر واضح للغاية، فريد من نوعه، واضح جدًا حول ذلك "الشيء" لدرجة أنّه لم يعد بإمكانه العيش منذ ذلك الحين من دون أن تحدّده تلك اللحظة وذلك الاكتشاف.
هناك لحظات، لقاءات، أحداث، تختلف عن غيرها: إنّها أحداث ولحظات حياة لها قوّة لا تضاهى. وهذا ليس بسبب صخبها، بل بسبب قدرتها على إيقاظ كلّ أنانا، بسبب ما تجلبه من حسم في حياتنا.
هذا ما يصفه جوسّاني بطريقة رائعة وواقعيّة: «قد تكون هذه الهنيهة لحدس بالوعد للحياة هي ما قادتنا إلى هنا، دون صخب الوعي الذاتيّ، دون صخب نقديّ. ولكن هناك يومٌ في حياتكم حدث فيه لقاء ضم ّكلّ المعنى، وكلّ القيمة، وكلّ المرغوب فيه، وكلّ الحقّ، وكلّ ما هو جميل، وكلّ ما هو محبوب».[40]
هذه اللحظات الفريدة تجعلنا نكتشف شيئًا يدوم، شيءٌ له نبرة الحقيقة الجليّة. في حديثه عن اللقاء، يلاحظ دون جوسّاني قائلا: «أحيانًا يبدو "وميضًا في الضباب"، لكنّ هذا الظهور السريع يجعلنا أيضًا على يقين من أنّنا عثرنا على شيء، فلنقل ببعض اللعب على الكلمات، على "شيء بداخله شيء"».[41]
لكي نرى هذا "الشيء" الموجود داخل الشيء الذي نصادفه (شخص معيّن، جماعة معيّنة، "الحقيقة الموضوعيّة») لسنا بحاجة إلى ذكاء كبير، كما نعتقد أحيانًا؛ من الضروريّ فقط مؤازرة إعلاء «القدرة المعرفيّة للوعي» التي يثيرها الحدث نفسه، ويولّدها، في تكييف لـ «فطنة النظرة الإنسانيّة إلى الواقع الاستثنائيّ الذي تسبّبه».[42] يمكننا أن نفهم ذلك عن طريق القياس مع العديد من تجاربنا: لقاءات مع أشخاص معيّنين تفتح أعيننا على مصراعيها، وتسمح لنا بأن نرى بشكل ثاقب وأعمق واقع الأشياء.
ولكن ممّ تتكوّن هذه "المؤازرة"؟ إنّه يتطابق مع نقاء القلب.
دعونا نتأمّل بشخصيّة "المجهول الاسم" (l'Innominato) كما يقدّمها لنا مانزوني. لقد وجّه حياته بطريقة معيّنة، وقام بخياراته، وتبنّى موقفًا في ما يتعلّق بالمسيحيّة، ورأى الناس يذهبون إلى الكنيسة مرارًا دون أن يتحرّك قيد أنملة. ولكن في لحظة معيّنة من حياته، بدأ فيها يشعر بالعذاب، عندما سمع من غرفة قلعته كلّ الناس الذاهبين بفرح للقاء الكردينال فيديريغو بورّوميو، تحرّك شيء فيه، انساق لفرحتهم وانضمّ إليهم. وعندما وجد نفسه أمام الكردينال ووقع تحت نظره، ووجده يحتضنه، استسلم قلبه: لقد دعم قوّة تلك النظرة، ودفء ذلك الحنان غير

[39] L. Giussani, «Quel che cerchi c'è», in *Spirto Gentil. Un invito all'ascolto della grande musica guidati da Luigi Giussani*, a cura di S. Chierici e S. Giampaolo, Bur, Milano 2011, p. 11.
[40] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, Bur, Milano 2009, p. 426.
[41] L. Giussani, *Il cammino al vero è un'esperienza*, Rizzoli, Milano 2006, p. 142.
[42] L. Giussani, *Il rischio educativo*, op. cit., pp. 130-131.

المتوقّع. يقول مانزوني: «وبعد أن ذاب المجهول الاسم بفضل هذه المعانقة، غطّى عينيه مرّة أخرى بيده، ورفع وجهه صائحًا: "الله عظيم حقًا! الله صالح حقا! أنا أعرف نفسي الآن"».[43] لقد حرّرته نظرة الكردينال، مثل نظرة يسوع إلى زكّا، من العجرفة، وأعادت له وعيًا حقيقيًا بنفسه وفتحت عليه فقر الروح. في نهاية حوارهم، يتوجّه الكردينال إلى المجهول الاسم قائلا: "لا تعتقدوا [...] أنّني سأكتفي بهذه الزيارة اليوم"، ثمّ يسأله: "أنّكم ستعودون، أليس صحيحًا؟ برفقة رجل الدين هذا الطيّب؟ "هل سأعود؟" يتساءل المجهول الاسم مندهشًا. وهنا ينفجر الوعي الجديد الكامل للذات، وكل فقر القلب: "إذا ما رفضتموني، فسأبقى عنيدًا على بابكم، مثل الفقير. أحتاج أن أتحدّث إليكم! أحتاج أن أسمع منكم، [أحتاج] لرؤيتكم! أحتاج إليكم!"».[44] يمكنكم أن تروا ما حدث له من خلال الرغبة التي نشأت فيه لزيارته مرّة أخرى.

دعونا نسأل أنفسنا: ولكن من هو كردينالنا، كاردينال كلّ فرد، الكردينال الذي يجعل كلّ واحد منّا هو نفسه، ويشرّع نفسه، ولا يستطيع العيش من دونه؟ يسوع في الحقيقة ليس مجرّدًا، إنّه ليس مجرّد اسم؛ يسوع حيّ، وحاضر، يصل إلينا الآن من خلال هشاشة الجسد، من خلال نظرة واحتضان حقيقيّين وحازمين. "حيّ أي حاضر!" صرخنا في لقاء بداية العام. وحده الحاضر يمكنه أن يجعلنا فقراء. لا نحتاج إلى تنظيم، ولا نحتاج إلى استراتيجيا، نحتاج إلى شخص يعيدنا إلى أنفسنا. يجب أن يكون هناك شخص أمامنا يجعلنا فقراء، ويسمح لنا برؤية ما لدينا أمام أنفنا ولا نراه.

نحن بحاجة إلى أن ندرك الصلة الأساسيّة ما بين المعرفة والفقر. «لذلك يمكن للمرء أن يفهم أنّ آباء الكنيسة يعتبرون الصيغة الأساسيّة للمعرفة الدينية عمومًا هي كلمة من عظة الجبل: "طوبى لأنقياء القلوب، فإنّهم يعاينون الله "(متى 5: 8). إنّها ههنا مسألة "رؤية". إنّ إمكانيّة "رؤية" الله، أي بشكل عامّ، إدراكه يعتمد – كما يقول راتسنغر – على تنقية القلب، والتي نعني بها عمليّة شاملة يصبح فيها الإنسان شفّافًا، لا يبقى عالقًا في نفسه، لكنّه يتعلّم الهبة المجانية لذاته، وبالتالي يصبح شخصًا يرى».[45]

هذا ما قاله دون جوسّاني وشهد به أمام الكنيسة بأكملها في عام 1998، في ساحة القدّيس بطرس: «إنّ بساطة القلب هي التي جعلتني أشعر بالمسيح واعترف به على أنّه استثنائيّ، بتلك الفوريّة الأكيدة، كما يحدث للدليل المنيع والراسخ في عوامل ولحظات الواقع التي تصيب القلب عندما تدخل أفق شخصنا».[46]

إنّ بساطة القلب هذه، والتي تجعل الإنسان يقبل بأن يشرّع الواقعُ الفريد الماثل أمامه نفسَه، هي التي تسمح لنا برؤية الدليل المنيع. «يمكننا أن نقول إنّ الوجود المسيحيّ برمّته له بالضبط هذا الغرض: أن نصبح بسطاء».[47] وحده هذا الاستعداد لأن نترك حدث اللقاء يشرّع أنفسنا بالكامل هو الذي يتيح لنا إدراك معناه بشكل ملائم.[48]

ج) وعي التطابق

كيف حدث أن انضممنا وتعلّقنا بهذا اللقاء الذي أتى بنا في نهاية المطاف إلى هنا اليوم؟ لماذا لم ننسه بعد الآن؟ بفضل خبرةِ تطابُقٍ لا تضاهى من جانب طرف آخر مع احتياجات قلبنا العميقة، سمح بها الحضور الذي التقيناه. كما كان الحال مع يوحنا وأندراوس مع يسوع: لقد وجدا نفسيهما أمام حضور استثنائيّ، أي يتطابق تمامًا مع القلب. فمع المسيح تحقّق تطابقٌ مع القلب لا يمكن تخيّله، ولا تصوّره، ولم يتمّ في السابق. لهذا السبب كان من السهل التعرّف عليه بقيمته الفريدة التي لا تضاهى، القيمة "الإلهيّة".[49] «كلّ من يصادفه لن يغادر – وهذه هو بالضبط علامة التوافق المختبَرة –. اللقاء هو الاصطدام بمثل هذا الحضور الاستثنائيّ».[50] استثنائي، أي إلهيّ.

---

[43] A. Manzoni, *I promessi sposi*, Bur, Milano 2012, p. 481.

[44] *Ibidem*, p. 486.

[45] J. Ratzinger, *Elementi di teologia fondamentale. Saggi sulla fede e sul ministero*, Morcelliana, Brescia 2005, p. 90.
«ليست الاستجابة لله سوى رؤية الله، وهو ما يُمنح بسعادة فريدة لأنقياء القلوب فقط. كان لداود قلبًا نقيًا، فقد قال لله: " بك تتمسّك روحي"؛ ومرّة أخرى: "خيري هو أن أكون قريبًا من الله». (San Bernardo, *Sermone sul Cantico dei Cantici*, parte prima, Città Nuova, Roma 2006, pp. 95-97)

[46] L. Giussani, «Testimonianza durante l’incontro del Santo Padre Giovanni Paolo II con i movimenti ecclesiali e le nuove comunità», in L. Giussani - S. Alberto - J. Prades, *Generare tracce nella storia del mondo*, op. cit., p. IV.

[47] I. Silone, *L’avventura d’un povero cristiano*, Arnoldo Mondadori Editore, Milano 1968, p. 126.

[48] «يكرّم الله خليقته العاقلة من خلال إعدادها لقبول الهبة المتمثّلة به. هذه القدرة على القبول، الموهوبة هي أيضًا، هي جوهر العقل».
(F. Varillon, *L’umiltà di Dio*, Qiqajon, Magnano (Bi) 1999, p. 45)

[49] Cfr. L. Giussani - S. Alberto - J. Prades, *Generare tracce nella storia del mondo*, op. cit., p. 10.

[50] *Ibidem*, p. 26.

حتى بالنسبة لنا، بعد ألفي عام، يحدث الشيء نفسه: يمرّ الإلهيّ من خلال وجه سريع الزوال – «شيء بداخله شيء» –. هذا "الشيء" الذي يمرّ عبر شيء سريع الزوال هو ما يثبت، ويبقى، لأنّه إلهيّ. لذلك، إن لم ندرك طبيعة الحضور الذي التقيناه، فسينتهي بنا الأمر باعتبارها أمرًا آخر.
هذه هي النقطة التي يجب أن نلحظها جيّدًا.
تكمن المسألة في إدراك محتوى وأصل الاختلاف الذي التقيناه والذي نحن هنا من أجله. ربّما في أوقات أخرى كان بوسعنا أن ننجح دون الوصول إلى هذا الحدّ، دون الحاجة إلى إدراك طبيعة هذا الدليل المنيع الذي دخل في حياتنا، ولكن في فوضى اليوم، حيث كلّ شيء محلّ تساؤل، لن ننجح في البقاء مسيحيّين لفترة طويلة، إن لم يكن بفضل دليل معترف به بمعناه الدائم. في عام 1968 قال دون جوسّاني: «الآن لم يعد من الممكن قبوله بشكل سلبيّ، فالأزمنة لا تسمح بذلك».[51]
أنا مفعم بالحماسة لعيشي هذه اللحظة التاريخيّة، مع كلّ الجهد الذي تنطوي عليه. أقول هذا لنفسي، لا أريد أن أتجنّب هذا الجهد، إذ لا يكفيني العيش في وهم (كما هو الحال في فقاعة)، معتقدًا أنّ كلّ شيء يسير على ما يرام، فأنغلق في منطقة مريحة وأتوجّه إلى هنا سنويًا مع الأصدقاء لأنعم ببعض الهدوء. سيكون من غير المجدي للعيش.
لحسن الحظ أنّنا نختبر تحدّي كلّ هذا الالتباس، وهذا الشكّ الذي يحيط بنا، والعدميّة التي تعتبر أن لا شيء يدوم! نعم، لأنّ بمقدورنا بهذه الطريقة أن نفهم، ومن داخل تجربتنا، كما ربّما لم يستطع أحدٌ في التاريخ أن يفهم، اختلاف المسيحيّة. إنّه كما عندما يرى المرء أنّ لا علاقة تصمد ويجد نفسه فجأة أمام علاقة تصمد، أمام شخص يحبّه حقًّا، ثم يفكّر: «آه، هذا مختلف!». من السهل جدًا في تلك اللحظة التعرّف إلى الاختلاف.
إنّنا نعود إلى النقطة ألف بعد رؤية النقطة باء، بسبب عدم إدراكنا هذا "الشيء" – الذي له وجه من الحقيقة لا لبس فيه – على وجه التحديد. ليس بسبب هشاشتنا، ولكن بسبب عدم تعرّفنا عليه. لا دخل لهشاشتنا هنا. ما طرحته ليس مسألة تماسك أخلاقيّ، إنّه مشكلة العقل، وبساطة القلب. كتبت إيتي هيليسوم في مذكراتها: «فيك يجب أن تصبح الأمور واضحة».[52]

2. تحدّي التعرّف

لسنا وحدنا، من خلال لقاءات ملموسة وحازمة، من يصلنا اليوم نفسُ الحدث الذي وقع قبل ألفي عام. نحن نشارك أيضًا في نفس الخبرة، ونواجه تحدّيًا في القيام بنفس المسيرة، في عيش نفس التعرّف. يصف تشيكوف في إحدى قصصه، التي تحمل عنوان الطالب، وبشكل شاعريّ العلاقة ما بين الحدث الأوّليّ والحدث الحاليّ، بين تجربة بطرس – والأوّلين – وتجربتنا.
عند عودته من الصيد، في أمسية باردة ومظلمة، ينزل إيفان، وهو طالب شابّ، في ضيافة أرملتين، أمّ وابنتها، جالستين أمام الموقد. فينضمّ إليهما ويبدأ في الحديث عن آلام يسوع، عن العشاء الأخير، عن شعور يسوع بالكرب في بستان الزيتون، عن خيانة يهوذا، وإنكار بطرس، عن صياح الديك، وعن اللحظة التي «يعود فيها بطرس إلى نفسه، فيغادر الفناء ويبكي بمرارة». وينتبه أنّ الأمّ، فاسيلاسي، أخذت في هذا الوقت تتحسّر في حين أصاب الألم الشديد ابنتها. يكتب تشيكوف:
«تمنّى الطالب ليلة سعيدة للأرملتين وذهب إلى أبعد من ذلك. [...] فكّر الطالب بشأن فاسيليسا: إذا أجهشت بالبكاء، فهذا يعني أنّ كلذ ما حدث لبطرس في تلك الليلة الرهيبة له علاقة بها... [...] إذا بكت فاسيليسا وكانت ابنتها مشوشة فمن الواضح أنّ ما رواه لتوّه، والذي حدث قبل تسعة عشر قرنًا، له صلة بالحاضر، مع المرأتين، وربّما مع هذه القرية المهجورة، مع نفسه، مع كلّ الناس. إذا أخذت العجوز بالبكاء، فذلك ليس لأنّه كان قادرًا على الرواية بطريقة مؤثّرة، بل لأنّ بطرس كان يشبهها ولأنّها بكلّ كيانها كانت مهتمّة بما حدث في نفس بطرس. وثار الفرح فجأة في نفسه، وتوقّف للحظة لالتقاط أنفاسه. الماضي، فكّر، مرتبط بالحاضر من خلال سلسلة من الأحداث المتواصلة تنحدر من بعضها البعض. وبدا له أنّه رأى للتوّ طرفي هذه السلسلة: فما إن لمس

[51] راجع كارّون وجوسّاني، حيّ أي حاضر، مرجع مذكور، ص 12.
[52] E. Hillesum, *Diario. 1941-1943*, Adelphi, Milano 1985, p. 57.

أحد الطرفين، بدأ الآخر بالاهتزاز على الفور. وبينما كان يعبر النهر على متن القارب [...]، فكّر أنّ الحقيقة والجمال اللذين حرّكا الحياة الإنسانيّة هناك، في حديقة وفناء رئيس الكهنة، يمتدّان دون انقطاع حتى اليوم، ومن الواضح أنّهما كانا يشكلان دائمًا نقطة ارتكاز الحياة البشرية والحياة على الأرض بشكل عامّ؛ فاعتراه تدريجيًا شعورٌ بالشبوبيّة والصحّة والقوّة – كان في الثانية والعشرين من عمره فقط – وتوقّع سعادة غامضة بشكل لا يُعبَّر عنه، سعادة غامضة لم يسمع بها أحد، وبدت له الحياة مثيرة ورائعة ومليئة بالمعنى العميق».[53]
مدهشة هي العلاقة التي حدسها تشيكوف: «إذا أخذت العجوز بالبكاء [...] فذلك لأنّ [...] بطرس كان يشبهها ولأنّها بكلّ كيانها كانت مهتمّة بما حدث في نفس بطرس».
نحن هنا من أجل نفس الخبرة التي عاشها أوائل من قابلوا يسوع. ونواجه، مثلهم، تحدّي إدراك طبيعة اللقاء الذي حصل لنا، والحضور الذي استحوذ علينا. حتى الأوائل لم يكونوا بمنأى عن هذا التحدّي. ورحلتهم تبيّن لنا الطريق الذي يتوجّب علينا السير عليه اليوم أيضًا. لذلك دعونا نعود إلى اللحظة التي كان فيها التحدّي كبيرًا لدرجة أنّه أجبرهم على إدراك الاختلاف الذي الماثل أمامهم.
في إحدى المناسبات – عندما كثّر الأرغفة والسمك وأراد الجمع جعله ملكًا – ذكر يسوع أمام الجميع أشياء تسبّبت بالإثارة حتى أنّ التلاميذ لم يتمكّنوا من فهمها: «ساد صمت عظيم. ثمّ أخذ يسوع نفسه زمام المبادرة لكسره قائلا: "هل ترغبون في المغادرة أنتم أيضًا؟". وهنا ينطلق بطرس بقوّة في الجملة التي تلخّص كل خبرتهم المؤكّدة: "يا ربّ، نحن أيضًا لا نفهم ما تقوله، ولكن إذا ابتعدنا عنك، فإلى من نذهب؟ أنت وحدك لديك كلمات تشرح وتعطي معنى للحياة". [...]ذاك الموقف [...] كان معقولا للغاية»، لأنّ – يتابع جوسّاني – «المجموعة الصغيرة، وبناءً على التعايش مع فرادة يسوع ومواقفه لم تكن تستطيع سوى الاعتماد على كلماته. وإلا، لكان ينبغي عليهم أن ينكروا أدلّة [كما ينبغي علينا أن ننكرها] أكثر إقناعًا من تلك الموجودة في عيونهم: "إن لم أستطع تصديق هذا الرجل، فلن أصدّق شيئًا". إنّ التكرار المستمرّ الذي أحدثته المعاشرة حول هذا الانطباع عن الفرادة هو الذي حدّد الحكم المعقول لاعتمادهم عليه».[54] وهو حكم يشبه حكم شخص ما، بعد سنوات من العيش مع والدته، يقول إذا كان لديه علاقة طبيعية معها: «فليحدث ما تريد، قد أكون غاضبًا، حزينًا، قد أغيّر مزاجي، قد ينهار العالم كله، لكنّني لا أستطيع أن أنكر أنّ والدتي تحبّني». التعايش يدفعه إلى حكم يمكنه أن يتحدّى أيّ مزاج.
«يتطلّب الحكم مواجهة الخبرة مضمّنًا فيه "مدته"».[55] نحن بحاجة لهذا الوقت للوصول إلى اليقين. وهذه هي دراميّة الحياة. يعاملنا يسوع كبالغين: «هل ترغبون في المغادرة أنتم أيضًا؟» غير أنّنا، في الكثير من الأحيان، نودّ أن يأتي هو وينتشلنا من الصعوبات، وأن يقرّر بدلا منّا.
«لهذا السبب، وللإجابة على السؤال الذي كان يطرحه الأصدقاء والأعداء:" إذن، من تكون؟" [ما هذا "الشيء "الموجود فيك والذي لا يمكننا تحديده؟]، انتظر يسوع ليجعل الوقتُ التلاميذ متأكّدين من ارتباطهم [ليزداد يقين العقل في تشبّثهم به]، والأعداءَ المتعنّتين. لقد أوضح يسوع سرّه عندما أصبح الناس راسخين بشكل قاطع في الاعتراف به من عدمه».[56]
لا يريد يسوع أن يتخطّانا أو أن يفرض نفسه علينا: إنّه ينتظر أن تستسلم حرّيّتنا وتتعلّق به عن وعي. وهو يعلم جيّدًا أنّه بدون تدخّل حرّيّتنا، فإنّ الاعتراف بحضوره لن يصبح حقًّا اعترافا منّا. لذلك، فهو ليس في عجلة من أمره، ولا يريد حرق المراحل، بل يترك مجالًا لحرّيّتنا وينتظر منّا أن يشقّ الاعتراف به طريقه في داخلنا.
وبما أنّ العقل هو تأكيد الواقع في مجمل عوامله، فلا يمكننا تجنّب السؤال حول أصل الاختلاف الذي أتى إلينا. إذا كانت الثمار التي نراها، من حيث الإنسانيّة وكثافة الحياة، تشكّل علامة انقطاع عن كلّ ما يحيط بنا، فإنّنا أمام أمر من اثنين: إمّا أنّ هذه الثمار يمكن شرحها بشكل شامل بفضل قدرات خاصة للأشخاص الذين يوثقونها، وإمّا، بما أنّهم أشخاص مثلنا، هشّون مثلنا، ويرتكبون أخطاء مثلنا، تكشف وتثبت شيئًا آخر يفوق قدراتهم، شيء آخر يعمل فيهم («من ثمارهم تعرفونهم»).[57]

---

[53] A. Čechov, «Lo studente», in Id., *Racconti*, vol. II, Oscar Mondadori, Milano 1996, pp. 944-945.
[54] لويجي جوسّاني، في أصل الادّعاء المسيحيّ، مطبعة البطريركيّة اللاتينيّة، القدس 2010.
[55] نفس المصدر، ص 69.
[56] نفس المصدر والصفحة.
[57] Cfr. L. Giussani, *Perché la Chiesa*, Rizzoli, Milano 2014, p. 273ss.

حول ما يكون هذا "الشيء الآخر"، لا يمكن لعقلي أن يقوله، أن يحدّده، ولكن – كما يقول دون جوسّاني – «لا يمكنني إلا أن أعترف بوجوده. [...] هناك عامل في الداخل، هناك عامل يقرّر بشأن هذه الرفقة، وبشأن بعض نتائج هذه الرفقة، وعن بعض الأصداء في هذه الرفقة، المثيرة للدهشة لدرجة أنّني إن لم أقل أيّ شيء آخر، فإنّني لا أعطي تفسيرًا للخبرة [التي أقوم بها]، لأنّ العقلانيّة هي تأكيد الواقع الذي يمكن اختباره وفقًا لجميع العوامل التي تشكّله، جميع العوامل».[58]

في المدّة الأخيرة فاجأني ميكيل آزورميندي، وهو صديق قابلنا قبل عامين وعالم اجتماع يعمل أستاذًا في إقليم الباسك. وإذ كان مندهشًا ممّا رآه، كان مخلصًا جدًا للانعكاسات الناجمة عمّا شعر به، فقد قضى عامين وهو يزور جميع جماعاتنا الإسبانيّة، والعطلات، والأعمال الخيريّة، والمدارس، لأنّه كان يريد أن يفهم. كما لو أنّ أزورمندي قد أعاد إلينا ما لم نعد نراه في الغالب. وبعد وصوله إلى "لقاء مدريد" بعشر دقائق فقط، نظر إلى اختلاف الطريقة التي نتعامل بها، وطريقة التواجد معًا، و«بعض أصداء هذه الرفقة»، فقال: «هناك شيء ما يحدث هنا». لا يستطيع أن ينظر إلى كلّ هذا دون أن يدرك أنّ هناك، بهذه الطريقة في الالتقاء، في معاملة بعضنا البعض، والنظر إلى بعضنا البعض، والبحث عن بعضنا البعض، والاهتمام بكلّ شيء، هناك شيء آخر، يقوده بعد ذلك إلى التأكيد – انطلاقًا ممّا قيل له قبل وقت طويل؛ في الواقع كان في الإكليريكيّة في صباه: «إنّه هو. وحده الإلهيّ يمكنه أن يكون في أصل هذا كلّه».

تغيير الإنسانيّ الذي صادفه ميكيل، مثله مثل كلّ واحد منّا، هو أعظم معجزة. «يمكننا تعريف المعجزة كحدث، أي كواقع قابل للاختبار، يجبر الله من خلالها الإنسان على الانتباه إليه، وإلى القيم التي يريد أن يجعله يشارك فيها، والتي يدعو الله من خلالها الإنسان إلى إدراك واقعه. هذه هي الطريقة التي يفرض بها الله حضوره بشكل ملموس».[59] وهذا ليس شيئًا نتخيّله ويختفي فورًا.

من أمام المعجزة بالتحديد – معجزةُ إنسانيّةٍ مختلفة، أكثر اكتمالا – يأتي موقفنا إلى السطح ويحتدم الصراع ما بين الانفتاح والانغلاق، والشفافيّة والفظاظة. في هذا الصراع – الذي لا يجنّبنا السرّ الإلهيّ إيّاه – تكشف الحرّيّة عن دورها الحاسم في رحلة المعرفة، في اكتشاف الواقع ومعناه («إذا كان بلوغ المصير والاكتمال يجب أن يكون حرًّا، فعلى الحرّيّة أن تلعب دورًا في اكتشاف المصير [...]. لذلك، إنّ دور الحرّيّة لا يقتصر على السير نحو الله كانسجام حياة فحسب، بل أيضًا في اكتشاف الله»).[60] في هذا الصراع، ندعو في كثير من الأحيان «موقفًا نقديًا» ما هو في الحقيقة موقف مُسبق («رحيل مسبق»،[61] كما يقول جوسّاني)، «جفاف» لا يسمح لنا بالرؤية. أمّا المكافأة لأولئك الذين يشاركون في هذا الصراع بولاء فهي الاعتراف بحضور المسيح، والألفة معه.

وبالتالي، فإن المشكلة، أيّها الأصدقاء، ليست التوقّف عند عتبة هذا الاعتراف، بل الوصول إلى الاعتراف بـ "الينبوع الأخير» لما نراه، والذي التقيناه والذي يجمعنا.

«نحن نجازف بالعيش في نعمة كبيرة كهذا المنزل [كهذه الرفقة]، مفترضين الخطوة الأخيرة ("آه، نعم!")، معترفين بالخطوة الأخيرة، وهي للمسيح، ولكن من دون عيشها [...]. يمكنكنّ أن تعشن رفقتكنّ بطريقة تجعلكنّ لطيفات بينكنّ، منتبّهات، بحيث تستمتعن بالعيش مثل هذه البيئة [...] ؛ يمكنكنّ عيش جميع الجوانب الإيجابيّة لهذه الرفقة، ومع ذلك التوقّف، التوقّف عند عتبة الاعتراف بالدافع الملائم، بالعامل الحقيقيّ الذي وضعكنّ معًا قبل كلّ شيء [...]. يمكنكنّ عيش كلّ هذا من خلال عدم توضيح الينبوع الأخير لأنفسكنّ. كما لو أنّكنّ وصلتنّ إلى عتبة الشيء: «نعم، هناك المسيح، إنّه من أجل المسيح». ولكن «أن تقلنَ: "نحن معًا لأنّ المسيح حاضر" كم يحصل من العاطفة الوجوديّة، والاعتراف، والامتنان؟».[62]

يحبّ المسيح حرّيّتنا لدرجة أنّه يسمح لنا بالابتعاد عنه، في انتظار أن نتمكّن من اكتشاف اختلافه بحرّيّة. هكذا يصف فون بالتازار موقف الله تجاهنا: «عندما يقرّر إنسان أن يترك نفسه وضيقته [...] هناك ينمو ملكوتي.

---

[58] L. Giussani, *Si può vivere così?*, Rizzoli, Milano 2007, p. 272.

[59] L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., p. 287.

[60] لويجي جوسّاني، الحسّ الدينيّ، مطبعة البطريركيّة اللاتينيّة، القدس 2006.

[61] نفس المصدر، ص 170.

[62] L. Giussani, *Affezione e dimora*, op. cit., pp. 361-362. «Attraversiamo i miracoli come ciechi, senza vedere che il più piccolo germoglio di un fiore è fatto di migliaia di galassie» (C. Bobin, *La vita grande*, Anima Mundi, Otranto (Le) 2018, p. 41).

ولكن بما أنّ البشر يقومون بذلك على مضض [...]،عليّ أن أسير معهم على طول الطرق الطويلة العريضة، وحياة كاملة حتى يقتنعوا بالحقيقة».[63]

«ينتظر الله بصبر موافقتي أخيرًا على محبتّه. ينتظر الله مثل المتسوّل الواقف بلا حراك وفي صمت أمام شخص قد يعطيه قطعة خبز. الزمن هو هذا الانتظار. الزمن هو توقّع الله الذي يتوسّل محبّتنا. تقول سيمون فيل: «إنّ النجوم، والجبال، والبحر، وكلّ ما يتحدّث إلينا عن الزمن يأتينا بتوسّل الله، والتواضع في الانتظار يجعلنا شبيهين بالله».[64]

دعونا نفكر بالعذراء، عندما ينصرف الملاك: يبدو الأمر كما لو أنّ الربّ قد غادر المكان لإفساح المجال لحرّيّتها.

دعونا نفكّر بالابن الضالّ المذكور في الإنجيل. ليس الأب غير مبالٍ بابنه. على العكس من ذلك، لأنّه على وجه التحديد يحبّه ويعرف جيّدًا من هو المخلوق الذي أعطاه الحياة، فهو يعلم جيّدًا أنّ ابنه لن يكون قادرًا على اكتشاف طعم كونه ابنًا إلا من خلال الحرّيّة.

كتب الفيلسوف الألمانيّ الكاثوليكيّ فرديناند أولريش، متأمّلًا مثل الابن الضالّ: «لا يبقي الأب ابنه معلّقا به [...]. فهو قد أطلق سراح الآخر كآخر وجعله مسؤولا عن الخطر المستقبليّ المتمثّل في أن يصبح بمحبّة هو ذاته انطلاقًا من هاوية حرّيّته».[65]

كيف يظهر الأب حبّه لحرّيّة ابنه؟ «ببساطة يترك ابنه يرحل». يترك الأب ابنه يرحل، ويحترم حرّيّته، لأنّه يعتمد على اليقين بأنّ ابنه لا يبتعد عنه دون أن يصطحب معه كونه ابنًا له. يواصل أولريتش قائلا: «ينسحب الأب إذن، إذا جاز التعبير، إلى هدوء نفسه الكامل، ولا يقوم بذلك ضدّ ابنه، بل من أجله. اختبائه الأبويّ، صمته، هو رحمة مرافقته. ذلك الابن، الذي يخبرنا عنه المثل، هو رحمة الآب التي تأنّست: في البُعد من دون أب. لا نفهم المثل إلا إذا استمعنا إليه بروح من الشفقة والغفران! يبقى الأب، "يستريح"، في مزرعته ويسمح لابنه بالرحيل. في هذا البقاء، في هذا الانقطاع الظاهريّ عن العمل، يعبّر بوضوح عن نفسه كحرّيّة تشهد "من خلال حضوره فقط" وهي حاضرة».[66]

في مجال الحرّيّة هذا بالتحديد، الذي يتركه فيه الأب، يدرك الابن الضالّ اختلاف أبيه، بنبرة الحقيقة التي تجعله يعود إلى منزله. «هناك فراغ رهيب – يلاحظ هنري نووين – في هذه الأبوّة الروحيّة. لا قوّة، ولا نجاح، ولا شعبيّة، ولا رضى سهل. لكنّ هذا الفراغ الرهيب هو أيضًا مكان الحرّيّة الحقيقيّة. إنّه المكان الذي ليس فيه ما نخسره، حيث الحبّ لا تقيّده الروابط وحيث يمكن العثور على القوّة الروحيّة الحقيقيّة».[67]

في موقفه، يكشف الأب طبيعته الحقيقيّة كأب. يقول المجمع الفاتيكانيّ الثاني[68]: «لا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا من خلال الحرّيّة». المسيح يحترم حرّيّتنا ويحبّها ويدعمها.

يجب أن نصبح مدركين لمدى ما دخل إلى وجودنا، وإلا كنّا محكومين بالعيش في خوف من أن ينتهي كلّ شيء إلى العدم. إذا لم يدخل المسيح في ثنايا أنانا، بفضل الدليل الذي شعر به كلّ واحد منّا، من حيث إنّنا هنا، فسنخاف مثل الجميع، إذ «بدون حضور المسيح الآن – الآن! –، لا أستطيع أن أحبّ نفسي الآن، ولا أستطيع أن أحبّك الآن. إن لم يقم المسيح، فقد انتهى الأمر بالنسبة لي، حتّى وإن كانت لديّ كلّ كلماته، وكانت لديّ كلّ أناجيله. مع نصوص الأناجيل، في أقصى حدّ، قد أنتحر [يجرؤ جوسّاني على قول هذا!]، ولكن مع حضور المسيح لا [لأنّه ليس مجرّد حدث من الماضي]، مع حضور المسيح لا!».[69]

لماذا يستحقّ وجودنا هنا هذه الأيّام العناء؟ ماذا يمكننا أن نكسب؟ الوعي بأنّ شيئًا ما حدث لنا وأنّ بإمكانه التغلّب على القلق وعدم الثقة بأنّ كلّ شيء سائرٌ إلى العدم. لا ينفع التفكير: «سأحاول الآن أن أقوم بالمزيد»، ينفع فقط

[63] H.U. von Balthasar, *Il cuore del mondo*, Jaca Book, Milano 2006, p. 119.

[64] S. Weil, *Quaderni. Volume quarto*, Adelphi, Milano 1993, p. 177.

[65] F. Ulrich, *Gabe und Vergebung. Ein Beitrag zur biblischen Ontologie* (Dono e Perdono. Un contributo per un’ontologia biblica), Johannes, Freiburg 2006, p. 455.

[66] *Ibidem*, pp. 452, 457-458. «أنت تركتني أذهب عندما أردت وعندما لم أكن أريد، لكنّك لم تبتعد عنّي».
(Guglielmo di Saint-Thierry, *Preghiere meditate. Opere/3*, Città Nuova, Roma 1998, p. 214).

[67] H.J.M. Nouwen, *L’abbraccio benedicente*, Queriniana, Brescia 2018, p. 197.

[68] راجع الإعلان حول الحرّيّة الدينيّة *Dignitatis Humanae* القسم الأوّل، 2.

[69] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 77.

وعيُ ما حدث، شيء لم تنتجه أنت، ولم أنتجه أنا: «إنّي أحببتك حبًّا أبديًّا، فلذلك اجتذبتك برحمة».[70] وحده حضوره هو قوام أنفسنا.

3. ضرورة التحقق

«من يأتي بدافع حدس أو شعور غامض حول قيمة ثم لا يتمّ حثّه أو لا يلتزم بالتحقّق يختفي عاجلًا أم آجلًا».[71]
هذا التحذير الذي وجّهه دون جوسّاني للطلاب الجامعيّين ينطبق علينا جميعًا أيضًا، دون استثناء. «إذا كان المسيح هو حقًّا الردّ على الحياة، فيجب أن" يُرى" هذا الأمر بطريقة أو بأخرى. [...] لذلك قلت للشباب: "يجب أن نراقب جميع أنشطة حياتنا حتى نكون قادرين على رؤية واختبار وفهم وعيش أيّ جوابٍ هو حقًّا حضور المسيح لحاجات واحتياجات خبرتنا الإنسانيّة الملحّة التي تعبّر عن نفسها في تلك الأنشطة».[72]
خلال تقديم أعمال مؤتمر لوغانو حول جوسّاني الذي تمّ في المكتبة الأمبروسيّة، قال مدير دراسات فينيغونو، دون فرانكو مانزي: «يمكننا أن نقول إذن إنّ دون جوسّاني، بينما كان يتبع بنفسه المسيح في "سبيل الله" – كما تُعرّف المسيحيّة في أعمال الرسل – كان من ناحية يتحقّق من أنّ خبرة بطرس وأندراوس والرسل الآخرين كانت مُأنسِنة بشكل أصيل بالنسبة له أيضًا، ومن ناحية أخرى، كان يدعو الشباب الذين يلتقيهم في القطار أو على مقاعد مدرسة برشيه، للسير معه. ولكن على وجه التحديد، تتبّع دون جوسّاني معيار أصالة "تحرّكهم" هذا وراء المسيح في خبرات الإيمان الموثّقة في الأناجيل وفي بقيّة الكتاب المقدّس. وهكذا توصّل إلى الاعتقاد أنّ خبرته مع رفاق الدرب هؤلاء إذا كانت مؤنسِنة كخبرة بطرس وأندراوس والرسل الآخرين، فإنّ هذا يعني أنّ المسيح القائم ظلّ حاضرًا بشكل فعّال في التاريخ، لإنقاذ البشريّة في عصرنا أيضًا».[73]
لا تريد الكنيسة انتماءات غير نقديّة. عليّ أن أتحقّق من أنّ ما دخل في حياتي يسمح لي بأن أتحدّى أيّ ظلام، أو أيّ شك أو خوف أو عدم أمان. وكما سبق ودرسنا في مدرسة الجماعة، فإنّ الكنيسة لا تكذب علينا ولا تخدعنا.[74]
هذا هو التحدّي. أنتم تدركون، إذن، أنّ الارتباط لا يكفي، والحظيرة لا تكفي، ولا يكفي البحث عن أماكن مريحة للتفكير في العيش كمسيحيّين. لن ننجح بهذه الطريقة. ومن يقترح هذا عليكم لا يحبّكم. لم يغلق يسوع التلاميذ في حظيرة، بل سلّمهم الطريقة التي يمكنهم بها تحدّي العالم، متحقّقين من وعده: «إذا حافظت على علاقة بي، فسوف تدرك أنّك تعيش بطريقة لا تضاهى مقارنة بغيرها من الطرق».[75]
تكتب لي إحداكم:
«"ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟" لقد اعتقدت مرّات كثيرة أنّ هذا السؤال كان نتيجة حالة من الاكتئاب كامنة في نفسي، أو سخرية راكدة، أو في أيّ حال نتيجة نقص في الإيمان. مع ذلك أدركت في الآونة الأخيرة أنّ الأمر ليس كذلك. لا، إنّه ليس سؤالًا للمكتئبين، لأنّ سؤالي هذا قد تغيّر بمرور الوقت وأصبح جزءًا أساسيًّا من العلاقة والحوار اليوميّ مع المسيح، لدرجة أنّني وجدت نفسي مرارًا أفكّر: "كيف تثبت، أيّها المسيح، أمام وطأة الزمن، كيف تثبت في زواجي، مع الأصدقاء، في العلاقة مع الأطفال الذين ينمون، في تحدّيات الحياة اليوميّة، في المخاوف التي تنخرني، في الأشياء التي كنت أحبّها كثيرًا والتي أجدني الآن غير مكترثة بها؟ كيف؟". في إيجادي دائمًا "أشياء أخرى وغير متوقّعة" (وهذه هي دائمًا سمة مميّزة لحدوثه) مقارنةً بما كنت أتوقّعه، والتي تجعلني أولد من جديد. لفترة طويلة من حياتي كان المسيح نوعًا من الزخرفة ندعوها في حالات الضرورة

---

[70] راجع إرميا 31: 3
[71] L. Giussani, *Certi di alcune grandi cose (1979-1981)*, Bur, Milano 2007, p. 158.
[72] L. Giussani, *Un avvenimento di vita, cioè una storia*, a cura di C .Di Martino, EDIT-Il Sabato, Roma 1993, p. 341.
[73] F. Manzi, «Punto di vista di un biblista sugli *Atti* del Convegno della FTL: "Giussani: Il pensiero sorgivo"», in *Rivista Teologica di Lugano*, anno XXIV, 1/2019, p. 200.
[74] Cfr. L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., pp. 268-269.
[75] «تكرّر الكنيسة مع يسوع أنّه من الممكن أن يُعترف بأنّها ذات مصداقيّة بناءً على تطابق المتطلبات الأوّليّة للإنسان في زهوّها الأصيل. هذا ما كان يسوع يقصد بتعبير [...] «المائة ضعف» على هذه الأرض. وكأنّ الكنيسة تقول [لك]: "معي تحصل على خبرة حياة مفعمة لا تجدها في أيّ مكان آخر". إنّ هذا الوعد يبدو على حافة السكّين لأنّ الكنيسة تضع نفسها موضع تجربة وتطرح نفسها كاستمرار المسيح لكلّ البشر».
(L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., p. 268).

والإلحاح، في حين أنّ كلّ شيء آخر يمكنني إدارته بنفسي بسهولة. ولكن الآن، حتى بدون الكثير من الهزّات، وصل بوضوح الوعي بأنّ "بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا" ليس بمبالغة. ومع ذلك، وبعد سماعنا دون جوسّاني يتمنّى لنا "المثابرة في الرحلة" في لقاء بداية العام، قرّرتُ أنا وزوجي العودة إلى الطريق وبدأنا في المشاركة، بعد الكثير من التردّد، في بادرات الإحسان. لقد كانت واحدة من أجمل لحظات زواجنا، لأنّ المسيح كان حاضرًا بيننا من جديد في ذلك القرار المتجدّد معًا استئناف النشاط؛ وبشكل غامض، في الانضمام إلى اقتراح تربويّ للجماعة لا علاقة له به في الظاهر، وجدنا نفسينا معًا متحدَّين على الطريق كما لم يحدث منذ فترة طويلة. يا لها من هديّة غير متوقّعة! كانت بادرات الإحسان بمثابة تسونامي في حياتي، لأنّها كشفت على الفور كامل موقفي المختزل تجاه الحياة».

إنّ وفرة الحياة هذه هي ما سيسمح لك بالتحقق من حقيقة الرسالة التي تحملها لك الكنيسة، وطرحها لنفسها كامتداد للمسيح في التاريخ. ففي تجربة الامتلاء الذي لا يمكن اختباره في مكان آخر يكمن "التحقّق" ممّا تقوله الكنيسة عن نفسها: «أنا جسد المسيح، ووجه حضوره هنا والآن». وهكذا يمكنك ان تقول، متبنّيًا بعقلانيّة متزايدة ما تقوله الكنيسة عن نفسها، «المسيح هنا».

ولكي يكون قادرًا على الوصول إلى هذا اليقين، من الضروريّ أن يقبل الإنسان العيش داخل ذلك المكان الذي تصله من خلاله حياةُ الكنيسة، لأنّ الكنيسة «حياة ويجب أن تقدّم الحياة». لهذا يقرّر المرء أن يأتي إلى هنا نهاية أسبوع، ويغرق في هذه الحياة. في الواقع، يتابع دون جوسّاني قائلا إنّ الإنسان «لا يمكنه ان يشرع بالتحقّق من أمر بتلك الأهمّيّة دون التزام يتضمّن الحياة». لهذا السبب، «إذا كانت الكنيسة لا تغشّ، فإنّ الإنسان [كلّ منّا] بدوره لا يغشّ».[76]

يُعتبر الوقت ضروريًّا لهذا التحقّق، لكي يبرز اختلاف المسيحيّة أمام أعيننا، وما يثبت بحقّ أمام وطأة الزمن، والظروف، والتحدّيات، وخيبات الأمل. لا نخافنّ، فإذا كنّا مخلصين مع احتياجات القلب، فهي غير قابلة للاختزال على أنفسنا وتلاعبنا بنا إلى حدّ أنّ لديها القدرة على كشف القناع عن أيّ صنم صنعناه! نحن بحاجة فقط إلى بعض الوقت وإلى المقارنة مع القلب لمعرفة ما هو صحيح. لأنّ الصحيح وحده هو ما يدوم. للحقيقة نبرة لا لبس فيها – وهو ما نعلمه جميعًا – وتستمرّ بمرور الوقت. ولماذا تستمرّ؟ لأنّها، كما قلنا في البداية، تتوافق مع احتياجات القلب. جميع الوعود التي تقطعها لكم الأوثان لا تدوم، لأنّها لا تتوافق مع القلب، «لها أفواه ولا تتكلّم»،[77] كان أنبياء إسرائيل يقولون. إنّها لا شيء، الأصنام عدم؛ فففف، تختفي بعد فترة.

هناك تحت تصرّفنا أدوات لا تقتصر على أنفسنا وتلاعبنا كي نقوم بمسيرة أكيدة. هذا هو التحدّي الذي يجب على الجميع التعامل معه.

هاكم – في الختام – براهين التحقّق من الاقتراح التي نتلقاها جميعًا بشكل مستمرّ في الحركة والتي تسمح بعدم العودة إلى النقطة ألف بعد أن اختبرنا النقطة باء.

«أنا بصدد اختبار العبور النهائيّ إلى نضج الإيمان بطريقة ملموسة للغاية. أعيش في هذه الحركة منذ أربعة وثلاثين عامًا، ولكن في هذه الفترة الأخيرة أعطيتُ نعمة اختبار قفزة في الوعي الذاتيّ للإيمان. أدركت عدم التناسب القائم بين ما تلقيّته وإنسانيتي. لقد عشت لفترة طويلة مع الافتراض الغنوصيّ بأنّني فهمت، ومنت أجهد – بطريقة بيلاجيّة – لأحاول تطبيق ما اعتقدت أنّني فهمته. اليوم يحدث أنّ كلّ شيء يبدو جديدًا بالنسبة لي. أجد نفسي في وضع مختلف تمامًا عن الموقف الذي كان لديّ عندما التقيت بالحركة. بدأت أشعر بالتأثّر بكلّ شيء. كلمات قرأتُها عددًا لا حصر له، وكانت تثير في نفسي شبعًا فكريًا لكنّها لم تغيّر موقفي بمقدار إنملة، تجرّدني الآن من سلاحي. أدركتُ أنّني كنت أتابع جوسّاني بطريقة مجرّدة، دون أن أشرك بشكل ملموس الذكاء والقلب. بدأت أفهم معنى الذكاء العاطفي، والتعلّق بشخصه، وبالتالي بكلماته. توقف جوسّاني عن كونه شخصًا خارج إنسانيّتي وبدأ في الحكم عليها من الداخل. بدأ بالظهور المعنى الحقيقيّ لما تعلّمته وكنت أعرفه تقريبًا عن ظهر قلت من الفصول الأوّل والثاني والثالث والخامس والعاشر من "الحسّ الدينيّ". أنا مفتون، لأنّني أعود طفلًا، وأكتشف أنّ لديّ كلّ شيء لأتعلّمه، ولكن ليس من أجل تجميع المعرفة، بل لكي "أعيش الواقع بشكل عميق"».

كلّما حقّقنا، في العلاقة بكلّ الظروف، تحققًا شخصيًا حول قدرة المسيح على تغيير حياتنا («كلّ من يتبعني

---

[76] L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., p. 270.

[77] المزمور 115: 5.

يحصل على مائة ضعف هنا»)، على إحياءها، امتلأ عقلانيّة اعترافنا بحضوره، والـ "نعم" له وللطريقة الملموسة التي اختارها للوصول إلينا والاستحواذ علينا: الحركة.

التحقق، إذن، هو الطريق العظيم لشخصنة الإيمان، ولنضج اليقين بحضور المسيح في حياتنا.

القدّاس الإلهيّ

القراءات الليتورجيّة: حزقيال 37، 21-28؛ إرميا 31، 10-12ب؛ يوحنا 11، 45-56

عظة صاحب السيادة المونسنيور ماتّيو تزوبّي
متروبوليت بولونيا

تمهّد لنا هذه الرياضة الروحيّة أسبوع الآلام والقيامة المقدّس. إنّها الأيّام التي تضيء كلّ أيامنا. نحن نستعدّ لنتابع بتأثّر ابن الإنسان في حبّه حتّى النهاية. فآلامه تطرح علينا دومًا أسئلة وتوجّهنا. فهو يسلّم نفسه بكاملها لنا ويساعدنا على أن نفهم أين نحن. سنخونه بدافع من غرور تافه، معتقدين أنّ عكس الخوف هو الشجاعة وليس الحبّ؛ يمكننا البكاء والبدء من جديد من كلامه، مثل بطرس؛ سنرى جبن الأقوياء وتعنّت رجال الشريعة الذين يحكمون عليه؛ سنشعر بالذهول من غبائنا القاتل، متوارين بين الحشد المسيَّر الذي كان يصرخ مطالبًا بإدانة من يمثّل خلاصَه؛ سنبقى مع مريم تحت الصليب، وسنختار أن ننمو متبنّين هذه الأمّ الموكلة إلينا ومتعلّمين العناية بها لنكون دومًا أطفالًا مسؤولين لا أيتامًا بعيدين.

بمحبّتنا ليسوع واتّباعه، نصبح نحن أيضًا قدّيسين: غير مثاليّين، مجبرين في الواقع على الاهتمام بالمظاهر، وعلى قياس الاهتمام بالأماكن الأولى والسلامات، ولكن صغار – من المتسوّلين، لقال "أحدهم" – جُعلنا كبارًا فقط لأنّ يسوع أحبّنا. يسوع هو اللقاء، اللقاء المتجدّد دائمًا والذي يدفعنا بلطف إلى التقدّم إلى الأمام، خاصّة عندما تصبح الخطوات ثقيلة ببعض الشيء أو كسولة، ويطلب منا بحزم ألا نخاف من البقاء معه، أن نحبّه وألا ننساق إلى هدر حياتنا والعطايا التي تحتويها.

الزمن قصير وسرعان ما يمرّ. وأعياد الفصح والفرص ليست إلى ما لانهاية! نحن مساكين. يا له من فرح، في الواقع، أن نفهم ونسمع ذلك، حتى نتعلّم أن نضحك على أنفسنا (أحيانًا نأخذ أنفسنا على محمل الجدّ كثيرًا، لدرجة أنّه لا يمكن لأحد أن يقول لنا شيئًا؛ في حين أنّ الفكاهة والسخرية تساعداننا على التقليل من الأنا وعدم التقليل من الربّ، ومن السهل علينا أم نقوم به!). أن نتذكّر هشاشتنا ليس محبطًا على الإطلاق، كما تجعلنا نعتقد عبادة الأنا. في الصوم الكبير، عدنا إلى أنفسنا، لم نخرج منّا. نحن مساكين نمدّ أيادينا نحو تلك اليد الوحيدة التي تخلّص. إنّها الصورة الجميلة على نشرة عيد الفصح لهذا العام. «أنا سأظلّ على حالي شخصًا مسكينًا، ولكنّني مع المسيح أكون موقنًا وذا ثروة. [...] فمن خلال رفقته وحدها يحبّ الإنسانُ نفسَه، والتعلّقُ بالذات يكون فقط ممّن يحملون هذه الرسالة؛ حبّ الذات وبالتالي محبّة الآخرين»،[78] يقول دون جوسّاني. وهذا ليس بديهيًّا على الإطلاق بالنسبة لجيل كجيلنا، يعيش وينظر إلى حبّ الذات، ولكن بشكل يختصره في الفردانيّة، وقد يكون مضمون الحقوق، ولكنّه بدون القريب وفي النهاية بدون حبّ.

نحن الشعب – كما سمعنا – الذي وعد به النبيّ، شعبٌ من المتواضعين والفقراء: "سأجعل منهم شعبًا واحدًا في أرضي"، وكذلك مقدسه. أعتقد – إنّه أمر أكيد بالنسبة لي، ولكنّي أعتقد أنّه كذلك بالنسبة لكم أيضًا – أن رؤيتكم ورؤية بعضنا بعضًا على هذا النحو، وأنّ كوننا معًا جسديًّا ورؤية هذا المقدس يساعدنا في أيّام العزلة والصعوبات، أن نتذكر أنّنا جزءٌ من هذا الشعب. شعب نجده أكبر ممّا كنا نعتقد (إنّها نعمة!) ولكنّه يطلب منّا التزامًا جديدًا وشخصيًّا. شعب من غير المتقدّمين التي ينتهي بهم المطاف إلى الانقسام ويرهقون أنفسهم في النقاشات، بل من الأخوة المدعوّين دائمًا إلى خدمة الشراكة والعناية بها، وهو أمرٌ لا يُعتبر أبدًا مفروغًا منه ولا يتحقق مرّة واحدة وإلى الأبد.

كوننا قدّيسين هو تقدّمنا protagonismo الوحيد، الذي يسمح لنا بأن نكون أنفسنا حقًّا ويكشف عن نفسه في حبّ الآخرين، وليس في فرض نفسه أو في استغلالهم. نحن شعب لا يكتسب افتراض العادل، ولا القساوة السلبيّة لأنبياء المصائب، أي أولئك الذين لا يعرفون كيف يتعرّفون على علامات النعمة والذين لا يرون في النهاية

[78] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 68.

سوى الخراب والمتاعب، لأنّهم لا يقرؤون التاريخ ولا يؤمنون بالعناية الإلهيّة. يا لها من فرحة أن نكون جزءًا من شعب المساكين هذا وأن نكون قادرين على البقاء كذلك منذ سنوات عديدة – كما أعتقد أنّه الحال بالنسبة لكثيرين – في صداقة مخلصة ومحترمة تسعى إلى الخير وتساعده، إلى جانب ما يسميّها البابا بنديكتوس بـ «الشركة الموثوق بها»، جزء من قافلة لم تتوقف عن السير ورافقت الكثيرين منّا عمليًا طوال حياتهم.
إنّ وحدة هذا الشعب ووئامه – وهي دائمًا حسّاسة، وهي للخدمة وليس للاستخدام – يُعهد بها إلى الجميع. لقد تأثّرنا بجوسّاني عندما تحدّث عن الكنيسة باعتبارها «المكان الذي يغتني فيه كلّ هؤلاء الناس». إنّه عكس العالم تمامًا، حيث يغتني القليلون بينما يبقى الآخرون فقراء. هنا «يغتني كلّ هؤلاء الناس، ويهبون انفسهم ويغتنون من هبات الآخرين». ويتابع جوسّاني قائلا إنّ «الكنيسة هي حقًا مكان مؤثّر للبشريّة، إنّها مكان البشريّة، حيث تنمو البشريّة وتزداد، وتزيل باستمرار ما يدخله من الزيف، لأنّنا بشر؛ لكنّها إنسانيّة، وبالتالي فإنّ البشر إنسانيّون عندما يزيلون الزيف ويحبّون الطاهر. الكنيسة مؤثّرة حقًا». وقال أيضًا: «الصراع مع العدميّة، ضدّ العدميّة، هو هذا التأثّر المُعاش».[79]
في بعض النواحي، إنّ هذه الأيّام – كما سمعنا في الإنجيل – هي تطهير لعيد الفصح، لعيش عيد الفصح، لكنّها أيضًا استباق كبير له. في الواقع، إنّ أسبوع الآلام هو الوقت المناسب لتطهير ما هو زائف في قلوبنا وإخويّتنا – لأنّنا خُلقنا لنحبّ، خُلقنا لكي نكون قدّيسين ؛ وليس لأنّنا مثاليّون، بل لأنّنا محبوبون، – طالبين أن نكون قادرين على القضاء على ما هو زائف، وطالبين الغفران وغافرين، ومختارين الحبّ ومنفتحين على هذا الحبّ الكبير.
في جيل كجيلنا، من دون روابط، يخاف منها وينتهي به الأمر إلى أن يكون مرتبطًا بالعديد من التبعيّات، نشكر كوننا جزءًا من شعب كهذا، لا يزال يغنّي تحرّره، أي حبّه للربّ الذي يعيدنا إلى أنفسنا. لم نفقد دهشة اللقاء الذي يتجدّد. بل إنّ فصح الآلام والقيامة (لا وجود لأحدهما من دون الآخر!) يساعدنا على إعادة اكتشاف حبّ البداية، حتى لا نصبح فاترين ومديرين جشعين، وأحيانًا مريرين بسبب خيبات الأمل الحتميّة؛ ويحثّنا على عدم البحث عن الأعداء ولكن عن الأشخاص؛ يجعلنا نزداد استمتاعًا بطعم التحدّث إلى الجميع والحماس كيلا نكتفي بالرداءة أو نكون شهودًا فاترين وغير راضين.
كلّ واحد منا مكلّف بقطعة من هذا الكريزما – من هذا الشعب، كما سمعنا من النبيّ، من هذا الوعد الذي يمرّ عبر حياتنا، كما قال دون كارّون، الذي يصبح ملموسًا وربّما يدركه المرء بعد فترة طويلة: "وأخيرًا فهمت!" – الذي يجب أن نجلبه للعالم، لنمنح الكثيرين ذكاء وصبر الصداقة والمحبّة، لأنّها هبة؛ والهبة تضيع عندما نجعلها خاصّة. في الواقع، نحن نملك ما نقدّمه فقط. عسى أن يرى الكثيرون الجمال، والحقيقة، والخير، ليس في فئات مجرّدة أو كحقيقة بعيدة، بل في كلّ واحد منّا، في إنسانيّتنا الملموسة والفقيرة كما هي، في الجمال، في الحقيقة وفي الخير في حياتنا الشخصيّة . دعونا نعتني بها.
لهذا السبب ليس لدينا حنين إلى الماضي: لأنّ المسيح هو حضور نشعر به حقيقةً اليوم، حضور بشريّ حمانا وهو يتجدّد دون أن يضيع أو يخسر من قيمته. حضوره يصبح حضورنا. حضور شهد الخطيئة، لكنّه لم يصبح غير مبال أو مستسلمًا للأقدار. «ويكونون لي شعبًا وأكون لهم إلهًا»، هذا الحضور يقودنا إلى الذهاب "بفرح" – كما كنّا نغنّي في الماضي[80] – على طول الطريق للقاء الفقراء والناس. «ويكونون لي شعبًا وأكون لهم إلهًا. وأبُتّ لهم عهد سلام، عهد أبديّ، وأجعل مسكني في وسطهم»، مقدسه.
هاكم ما يثبت أما وطأة الزمن. يثبت الحبّ الذي لا يفسد لأنّه قداسة الله، قداسته الشخصيّة وقداسة شعبه، قداستي وقداستنا. يثبت الحبّ الموهوب، وخدمة الأخوة والفقراء (وهم الأخوة الأصاغر في نفس هذه الأخويّة)، في انحنائنا لغسل أقدامهم. تثبت الشراكة التي توحّدنا والتي لا قدرة للخطيئة على فصمها. يثبت حبّه الذي يجيب على سؤال الإنجيل اليوم، والذي هو في الأساس مسألة انتظارنا، اليائس في بعض الأحيان: "ما رأيكم؟ ألن يأتي إلى الحفلة؟ "بلى، سيأتي ربّنا ويأتي من أجل الحبّ فقط. لقد جاء وأمانته مستمرّة حتّى عندما يبدو أنّ كلّ شيء ينتهي. إنّه يأتي إلى الحفلة، ويبذل حياته، لإعداد الحفلى التي لا تنتهي.
" يجب أن توجّه الإيجابيّة الكاملة في الحياة روحَ المسيحيّ، في أيّ حال كان، وأيّا كان شعوره بالندم، وأيّا كان الظلم الذي لحق به، وأيّا كان الظلام المحيط به، وأيّا كان العداء، والموت المنقضّ عليه، لأنّ الله الذي صنع كلّ

---

[79] L. Giussani, *Il tempo e il tempio. Dio e l’uomo*, Bur, Milano 1995, p. 74.
[80] Cfr. «La canzone della Bassa», in *Canti*, Società Coop. Ed. Nuovo Mondo, Milano 2014, p. 234.

الكائنات، هو من أجل الخير، والله هو الفرضيّة الإيجابيّة لكلّ ما يعيشه الإنسان».[81] لقد أصبحت كلماتُ دون جوسّاني هذه صلاتَنا، في اليقين والبهجة لعثورنا على ما يدوم إلى الأبد: الحبّ الذي يريد لنا الخير فقط. إنّه الفصح الذي يجعلنا نقوم معه من الموت والذي يستمرّ إلى الأبد.

قبل البركة

خوليان كارّون. عزيزي صاحب السيادة، أودّ أن أشكركم خالص الشكر نيابة عنّي وباسم كلّ الحاضرين على قبولكم ترؤّس هذه الذبيحة المقدّسة خلال رياضتنا الروحيّة السنويّة. شكرًا على ما قلته لنا، يا صاحب السيادة. نشكركم على شهادتكم، في هذا التغيّر غير البسيط الجاري في عصرنا، في تحديد كلّيّ ووديّ مع البابا فرنسيس واتّباع له. هذا ما يرغب كلّ واحد منا في عيشه، متّحدًا أكثر من أيّ وقت مضى مع المسيح وكنيسته، ومجتمعًا مع إخواننا من البشر، وخاصّة الفقراء والمحتاجين منهم. شكرًا!

المونسنيور تزوبّي. أنا من أشكركم، بالطبع، على الدعوة. لقد قيل لي إنّكم ستكونون قليلي العدد في ريميني ... على أيّ حال، شكرًا. أشعر كثيرًا بالهبة التي هي السير معًا، هبة هذه الشراكة، هذا الإخاء. يجب أن أشكر أيضًا أولئك الذين يسكنون في بولونيا، وأشكرهم كثيرًا على خدمتهم وشهادتهم. لكنّني أعتقد أنّه يجب علينا أيضًا تقديم شكر مشترك للربّ الآتي. قد يفكّر المرء قائلا: «من يدري إن كان سيأتي». سيأتي! وهذه الأيّام تساعدنا على فتح قلوبنا وألا نكون مثل أولئك الذين يصفهم البابا فرنسيس، في مفارقة ساخرة، بهذه الطريقة: "هؤلاء المسيحيّون الذين يعيشون زمن الصوم بدون الفصح". حقًّا هذه الأيّام هي تحضير – كما سبق وقلت في قراءة لهذه العبارة الجميلة لجوسّاني – لإزالة ما هو زيف فينا، لأنّنا صُنعنا من أجل هذا الشعب، من أجل هذا المقدس، وفقرنا يجد حقًّا الفصح والقيامة في كوننا معًا، في السير معًا. نشكر الربّ على هذا ونطلب البركة حتى يكون الفصح معه، لمواجهة الشرّ معه، وليس للهرب، ولكن أيضًا بقوّة المحبّة، التي هي أقوى من أيّة محنة، مدركين أنّ هبة الحياة تعني أنّها تدوم إلى الأبد.

* * *

صلاة "افرحي يا ملكة السماء"

---

[81] L. Giussani, *Alla ricerca del volto umano*, Esercizi Spirituali della Fraternità di Comunione e Liberazione, Rimini 3-5 maggio 1996, suppl. a *Litterae communionis - Tracce*, luglio/agosto 1996, p. 12.

السبت 13 نيسان/أبريل بعد الظهر

عند الدخول والخروج:
فولفغنغ أماديوس موزارت، كونشيرتو على البيانو وأوركسترا ري مينور رقم 20، ك 466
كلارا هسكل على البيانو
"سبيريتو جنتيل" 32، فيليبس

التأمّل الثاني
خوليان كارّون

«والغلبة التي يُغلب بها العالم هي إيماننا» (رسالة يوحنّا الأولى 5: 4)

كانت الخطوة الأولى التي قمنا بها هذا الصباح «إثبات»: هناك «نوع مختلف من العلاقة بين الناس، مناخ أكثر احترامًا وصدقًا»، حداثة في الحياة نلاحظها لدى الكثيرين حولنا والتي ساعدتنا صفحات "لماذا الكنيسة" على فهمها. إنّه من بين الأشياء التي تذهلني خلال تجوّلي في جميع أنحاء العالم لزيارة جماعات الحركة: في الأماكن النائية يوجد أناس بسيطون – ليسوا مبهرجين – لا يكاد أحد يعرفهم – يقومون بخبرة مدهشة، تقودهم إلى فيض الامتنان. في أكثر المواقف تنوّعًا، وأكثر دراميّة ممّا نتصوّر، يبدأ كثيرون في القيام بخبرة حداثة وازدهار وتكثيف للحياة، وطريقة مختلفة للتعامل مع الظروف، بما في ذلك الصعوبات.
هذا ممكن في كلّ مكان ولأيّ شخص. وهذا ما يتركني عاجزًا عن الكلام في كلّ مرّة. استمعوا إلى ما تخبرنا به أليونا من كاراغندا عن نفسها.
«التقيت بالحركة في عام 1997، عندما جاء الأب إدواردو إلى مدرستنا ليحدّثنا، خلال ساعة التاريخ، عن إيطاليا. ونشأت بيننا صداقة، حيث كان يجيء إلينا لتناول العشاء، وكان يُدهشنا كثيرًا، وبعد فترة دعانا إلى الإجازة. لم نكن قد رأينا مثل هذا الشيء من قبل، لقد استحوذ علينا. بدأنا الذهاب إلى مدرسة الجماعة، وتعرّفنا إلى أصدقاء جدد، وواصلنا المشاركة في العطلات. ثم التحقت بالجامعة وبعد عامين من الحياة الطلابيّة، تركت الجماعة، إذ بدا لي [انتبهوا لهذا المقطع] أنّني في حياتي قد تلقّيت الإيمان، لذلك كان بإمكاني الذهاب إلى الكنيسة بمفردي. بدا لي أن الجماعة قد توقّفت عن مساعدتي. تزوّجت ورُزقت بابنتين. وعندما وُلدت ابنتي الثانية، وجدوا مرضًا معيّنًا لدى الكبرى. من الواضح، كانت تلك محنة كبيرة بالنسبة لي. بدأتُ أبحث من جديد عن معنى، وشعرت بنقص هائل في علاقاتي مع زوجي، وفي علاقاتي مع ابنتيّ، وبدا لي أنّ الحياة قد وصلت إلى طريق مسدود، وكنت دائمًا أفتقد شيئًا ما. بعد سبع سنوات كان على ابنتي الصغرى الذهاب إلى المدرسة.
التقيت خارج المدرسة بمدرّستي السابقة التي كانت قد تعرّفت على الحركة معي. وفي حديثها معها، سألتُها: "أما زالت هناك مدرسة الجماعة وغيرها؟"، ربّما مع بعض الأمل لي. فأجابت: "بالطبع! نحن هناك". ثم نظرت إليّ وسألتني عن حالي. وعندما أخبرتها عن ابنتي الكبرى، قالت لي: "إنّ فتاة كهذه يجب أن تكون موضع حبّ كبير. تعالي معنا إلى العطلة". وفي تلك العطلة، التقيت من جديد بالأشخاص الذين كنت أعرفهم منذ سنوات عديدة، ورأيت كيف يعيشون، وكانت عيونهم ممتلئة، وتشرق بالفرح، وكانت الأسر سعيدة في حياتها. فهمت أنني كنت منغلقة على ذاتي لدرجة أنّ حياتي كانت سباقًا [قائمًا] على نفسي، بلا معنى. شعرتُ مرّة أخرى بأنّ قلبي كان مليئًا بالحماس. لقد مرّت خمس سنوات وما زلت أشعر أنّ هذا هو المكان الوحيد الذي أعيش فيه حقًا، حيث أنا نفسي، حيث يمكنني أن أحبّ ابنتي كما أردت دائمًا، حيث يمكنني أن أحبّ زوجي كما هو. وليس هناك شيء آخر يمكنه أن يجيب على أسئلتي، وحده المسيح. مدرسة الجماعة واعمال الخير هي ما يعيدني إلى نفسي».
ما الذي جعل طريقة العيش المختلفة هذه ممكنة؟ ما جعل من الممكن –أجيب مشيرًا إلى أوضح عامل على الفور

– هو إشراك حياة المرء في اقتراح الحركة، أي الكنيسة كما وصلتنا بشكل مقنع. لقد كانت الأمانة لهذا الاقتراح. أولئك الذين وافقوا على الانخراط في حياتهم والتي تقترحها الكنيسة علينا من خلال الحركة قد شهدوا أمرًا جديدًا يمكن أن نراه ونوصله، ونرى الكثير من علاماته. لا شيء ميكانيكيّ في الحياة، فما بالكم في المسيحيّة. ولهذا السبب قد يكون هناك أشخاص في نفس الجماعة يأخذون الاقتراح على محمل الجدّ، ويعيشون الأمانة له، وأشخاص يكونون غير مبالين.
لكنّ هذا يجدّد السؤال الذي يقدّم عنوان رياضتنا هذه: ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟ وكلّما كان امتلاء الحياة والجديد مُعاشًا، كان السؤال أكثر حدّة: كيف يمكن لهذا التغيّر أن يستمرّ؟

1. مشكلة الاستمراريّة

كيف يمكن لهذه النظرة، التي نجدها في بعض الأحيان مصوّبة نحونا ما يجعلنا نطرب فرحًا، أن تصبح ملكنا؟ كيف يصبح هذا الجمال لي؟ وكيف يمكن لما أعيشه ضمن الجماعة المسيحيّة أن يصل إلى كلّ جوانب الحياة، وأشدّد على جميعها؟
حظّنا كبير، فدون جوسّاني قد واجه قبل سنوات هذا السؤال نفسه ("ما الذي يستمرّ؟")، في مفصل معيّن من خبرة الطلاب الجامعيّين، وبالتالي يمكنه أن يرافقنا، خطوة خطوة، للردّ على كلّ الإلحاح الذي شعرنا به هذه الأيّام. يقول دون جوسّاني إنّ هناك طريقة واحدة فقط: بما أنّ الأمانة للاقتراح هي التي أنتجت هذا التغيّر، فيجب على المرء أن يكون أمينًا، «أن نبقى أمناء!».[82]
ولكن هنا تبدأ صعوبتنا، لأنّ الأخلاقيّة التي تميّز طريقة التفكير التي تغمرنا تظهر أيضًا فينا. هناك بالفعل طريقة لفهم هذه الأمانة تشبه تلك المفهومة من قبل غالبية الناس، والتي تعتبر، كما يحذّرنا دون جوسّاني، "هذه الامانة كلّ ما متروك لقدراتك الأخلاقيّة". إنّنا نميل إلى تفسير أخلاقيّ وطوعيّ للأمانة. ونميل إلى قراءة كلّ شيء من حيث "القدرة". بكلمات أخرى: لقد فاجأتنا حياة جديدة معيّنة، وشهدنا تغيّرًا غير متوقّع، والآن يجب أن نجهد لكي يستمرّ، لإطالة أمده وتحقيقه في كلّ شيء. «فكّروا، يقول جوسّاني، بالملل من التكرار الذي يلوح في الأفق، وذلك بسبب اضطرارنا دائمًا أن نقول لأنفسنا: "يجب علينا تغيير العلاقات بيننا، يجب أن نعامل بعضنا البعض باحترام في هذه العطلة، يجب أن نحبّ بعضنا البعض كإخوة، يجب أن نكون أصدقاء مخلصين، يجب ان نحترم النظام ...". يجب!» وبالتالي، فإنّ «كيفيّة المضيّ قدمًا» تُفهم على أنّها «ظاهرة جهد من إرادتكم»،[83] كما لو كان كافيًا تكرار دعوة باستمرار لمنع النفس من الاضمحلال، للحفاظ على معنويّات الفرقة مرتفعة دائمًا، كما لو أنّنا نستطيع أن نخلق بأنفسنا، بدعواتنا، ما نرغب فيه.
«لكنّني أعتقد، يتابع جوسّاني، أنّه ليس من التشاؤم أن نتوقّع، مع مرور الوقت، وفي مواجهة تكرار الدعوة، تدهور معيّن لاهتمامكم، وحماسًا أقلّ، لأنّ الحماس يكون فقط للجديد».[84] والجديد هو الحقّ، والإلهيّ الذي يُظهر نفسه، جاذبًا إليه وجودنا ومعبّئًا إيّاه.
ولا يمكن أن تأتي استمراريّة التغيّر من إرادتنا، لأنّنا نعرف جميعًا منذ البداية أنّ جهودنا غير قادرة على الاستمرار. «وفي نهاية المطاف، فإنّ هذه الإرادة، وهذا الالتزام، وحسّنا الأخلاقيّ لا يمكنه ألا يبقى هشًا جدًّا».[85] خصوصًا في مجتمع يقول بالضبط عكس ما نقترحه ونحاول ان نعيشه.
من المستحيل أن نخفي ذلك: «إنّ هشاشتنا الهيكليّة الذاتيّة تجعلنا نصبح كالأوراق في مهبّ الريح، أي أنّها تجعلنا بسهولة ضحايا للسلطة، للسلطة العلمانيّة، والاجتماعية، والمدنيّة. حاولوا مجرّد التفكير في مواجهة العقليّة التي تحيط بنا، والعقليّة التي تحدّد الطرق والمسارات، لمسيرة الجامعة، للمهنة، وعقليّة منزلك حول ما يجب القيام به، وعقليّة كلّ شيء! مواجهة كلّ هذا! ليس السلطة العلمانيّة فحسب، بل أيضًا السلطة الكنسيّة: إذا تمّت مقاطعة تجربتنا، وإحباطها، وحوربت، في واقع الكنيسة، فإنّ الطاقة التواصليّة وإبداع عضويّتنا يصبحان نادرين، كلّ

---

[82] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 55.

[83] نفس المصدر والصفحة.
[84] نفس المصدر ص 56.
[85] نفس المصدر والصفحة.

شيء يصبح محدودًا، ومن السهل جدّا أن نتوقّع عدم قدرة مقاومتنا بفعاليّة. ولكن الخبرة تصبح تاريخًا عندما لا يمكن للسلطة وقفها». [86] وهذا يبدو أكثر وضوحًا لنا جميعًا ممّا كان عليه قبل بضعة عقود.
وبالتالي فإنّ الدعوة إلى الأمانة ليست «دعوة يحدّدها على الفور الأمل بقوّة إرادتكم، ولا تقوم على حسّكم الأخلاقيّ». [87]
لذا، إذا كانت لا تعتمد على قوّة إرادتنا، فعلام تقوم الأمانة؟ للإجابة، يجب أن نسأل أنفسنا أوّلًا: كيف أصبحت المسيحيّة تاريخًا؟ فالإجابة على هذا السؤال تتضمّن كلّ ما لها من حداثة، واستثنائيّة – من الضروريّ أن نصبح أكثر وعيًا لهما – والتي هي أساس الأمانة.

2. «ادعاء معاصرة المسيح للتاريخ»

ما الذي جعل من الممكن لبدايات التلاميذ أن تستمرّ مع مرور الوقت؟ هل استمرّت المسيحيّة في التاريخ، هل أصبحت تاريخًا بفضل قوّة إرادة الأوائل؟ هل كانوا بارعين بما فيه الكفاية لضمان بقاء البداية؟ هم أيضًا وجدوا أنفسهم في صعوبة وخشوا من انهيار كلّ شيء، وفي مرحلة ما، من انهيار من كان قد أثار فيهم الكثير من الحماسة. وبعد موته، عاد تلميذان إلى قريتهما قائلين: «كنا نرجو أخيرًا أن يكون قد أتى من يفي بالوعد الذي تلقيّناه عندما التقينا به، ذلك الوعد الذي يتوافق مع تطلّعات القلب؛ ولكن الآن انتهى كلّ شيء». [88] وعندما تركض بعض النساء إلى الرسل لينقلن إليهم بشرى القيامة، قال بعضهم: São loucas، كما تقول الأغنية، [89] إنهنّ مجنونات، لدرجة أنّ تلميذي عمّاوس كانا عائدين إلى قريتهما خائبي الأمل.
ولكن، إذا لم يتمّ ذلك بجهدهم – أن نكون على بيّنة من هذا الأمر لهو تحرّر – ولا بفضل محاولتهم التنظيمية، فما الذي جعل من الممكن استمرار الظاهرة الأوليّة؟ كيف نفسّر أنّها استمرّت؟
هذا هو السؤال الذي يحيّر المؤرّخين وأيّ شخص يقارب روايات الإنجيل. في قراءتنا لنصوص الأناجيل، التي لم تخفي عنّا حيرة الرسل، نواجه هذه المفارقة: الكلّ تركوه وفرّوا، ولكنّنا نجدهم بعد بضعة أيام متّحدين ومتحمّسين ومستعدّين لكلّ شيء. لم يستطع المؤرّخون أن يفسّروا ذلك الأمر. ولكن يجب أن يكون لمثل هذا التغيّر من تفسير! لذلك فهم يلجؤون إلى نفس الكلمة التي استخدمناها هذه الأيّام: "شيء ما" قد حدث، وهكذا فإنّ الأشخاص الذين كانوا ضائعين، ومصابين بخيبة أمل، والذين عادوا إلى ديارهم متشكّكين لأنّ الوعد لم يتمّ الوفاء به، عادوا متّحدين ومتحمّسين ومستعدّين لأيّ شيء، بطاقةٍ تفيض.
حتى شتراوس، المؤرّخ العقلانيّ، الذي ينكر تاريخيّة القيامة، يضطرّ لشرح نقطة التحوّل التي حدثت في التلاميذ إلى الاعتراف بأنّ "شيئًا ما" قد حدث، إذ لا يمكن لكذبة اخترعها التلاميذ أن تعطي السبب المناسب لما حدث في نفوسهم وفي وقت قليل جدّا. «إنّ كذبة من اختراع الرسل لا يمكن أن تكون مصدر إلهام لشجاعة أعلان قيامة يسوع بمثل هذا الثبات وفي خضمّ أكبر الأخطار. لا يزال المدافعون عن العقيدة apologisti يصرّون عن حقّ اليوم عند مشاهدة الانقلاب غير العاديّ في روح الرسل، من أعمق الإحباط، من فقدان كلّ الأمل عند موت يسوع، إلى الإيمان والحماس الذي أعلنوا به أنّه المسيح المنتظر في العنصرة اللاحقة، لا يمكن تفسيره (أي الانقلاب) إن لم يكن قد حدث شيء في هذه الأثناء [أي بعد أسابيع قليلة فقط من صلبه] يمثّل مواساةً غير عاديّة، وعلى وجه الخصوص شيء ما أقنعهم بقيامة يسوع المصلوب». [90]
لقد أصبحت المسيحية تاريخًا، تاريخًا وصل إلى هنا، إليّ، وإليك، لما حدث بعد أيّام قليلة من الصلب. ما الذي جعله تاريخًا؟ حقيقة أنّ الإلهيّ قد تجلّى بقوة أكبر: السبب الوحيد الذي جعل هذه الانعطافة وهذه الاستمراريّة ممكنتين مع مرور الوقت هو أنّهم رأوه حيًّا. «"المسيح قام" يعني أنّ المسيح يملك على الزمن، فهو ربّ الزمن، ويغلب الزمن». [91]

---

[86] نفس المصدر ص 56-57.
[87] نفس المصدر ص 58.
[88] راجع لوقا 24، 13-35.
[89] *Barco Negro*, musica di Caco Velho e Piratini e testo di D. Mourão-Ferreira.
[90] D.F. Strauss, *La vita di Gesù o Esame critico della sua storia*, La Vita Felice, Milano 2014, pp. 1395-1396.
[91] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 63.

المسيح حاضر الآن! هذه هي استثنائيّة المسيحيّة، ولذا فإنّ حضور المسيح يختلف عن أيّة شخصيّة من مجموعة الأديان: «الاستثنائيّة هي ادّعاء معاصرة المسيح للتاريخ».[92] وهي معاصرة لم تتمكّن أيّة سلطة في هذا العالم أن توقفها، لدرجة أنّها وصلت إلينا. ولن يتمّ وقفها أبدًا من قبل أيّة سلطة.
لذلك فإنّ الأمانة هي الأمانة للمسيح القائم. إنّ ما يسمح بالزمن، ما يثبت أمام وطأة الزمن، لسنا نحن بقدراتنا، ولكن هذا الجديد – حضوره، إعادة حدوث حضوره الآن، حضورٌ الآن – الذي دخل حياتنا، والذي رأيناه يظهر باستمرار، ولم يعد نزعه عنّا، لا أستطيع نزعه عنّي، لا أستطيع نزعه عن حياتي. قد أغادر، ولكنّني سآخذه معي. هذا "الشيء" الذي يقبل به المؤرّخون على شاكلة شتراوس – دون الاعتراف به أو حتى الانتماء إليه – ليس أكثر من حقيقة المسيح القائم. والأمانة التي نتحدّث عنها هي الأمانة لهذا الحدث الذي وقع.
«خبرة الامتلاء هذه التي عاشها هؤلاء التلاميذ الأوائل قد تُترك في البُعد، بحزن وحنين [...] وتُعتبر مساوية لخبرات أخرى في مجالات أخرى، في مراحل أخرى في التاريخ. ولكنّ الاستثنائيّة [...]، كما يقول إليوت في "الرباعيّات الأربعة"، وتقاطع اللازمن مع الزمن هو حيث يثبت التغيير الذي وقع، يثبت، ويصبح استمراريّة ("الاستمراريّة" تعني واقعًا آخر، طريقة أخرى للواقع، لأنّ الاستمراريّة هي قوام الكائن، كائن آخر) أي إنّه يصبح تاريخًا. الاستثنائيّة هي أنّ التغيير يدوم، ويصبح تاريخًا».[93]
إنّ دوام التغيّر – البداية التي تصبح تاريخًا – يستدعي أمانتي، ولكنّه يُعطى، يُخلق من خلال شيء ليس هو أنا، أي من خلال حضور يهيمن على التاريخ، وقد غلب الزمان والمكان، وهو هنا، الآن. قال بيغي: «إنّه هنا. إنّه هنا مثل اليوم الأوّل».[94] يحدث الآن. هناك «شيء يأتي قبل» أمانتي ويطلب أمانتي ويحافظ عليها: إنّه حدوثه الآن.

«قبل عام كنت أمرّ في لحظة عصيبة، لم أكن على ما يرام، ولكنّني حاولت التمسّك بثلّة من الأصدقاء الذين لا ينهارون ولا يخافون. وفي يوم من الأيّام ذهبت لزيارة أحدهم وكنت في حالة سيئة للغاية. فقال لي جملة: "صداقتنا مقدّسة لأنّها تفتح على أسئلة لا يجيب عليها سوى آخر". وبعد بضعة أسابيع كنت أتناول العشاء مع صديقة أخرى، وعندما بكيت، نظرت إلي وسألتني بعفويّة: "من أنتِ؟" هناك قلت لنفسي: الجواب لي ليس الكلمات، والتفسيرات المسيحيّة، بل حضوره. لا شيء أقلّ! الجواب هو هو، الذي في اللقاء قد جرح قلبي إلى الأبد بجماله. في طيّات حياتي، وهي قصة داخل التاريخ، أرى أنّ الشيء الوحيد الذي يثبت هو أمانة الله، استمراره في انتظاري، في رغبته بي، في المجيء للبحث عنّي: حضوره بالفعل!» المسيح يأتي إلينا من خلال الأصدقاء الذين لا ينهارون ولا يخافون.
ما هو إذن الخطر المميت، الذي رأيناه في كثير من الأحيان يلوح في الأفق على مرّ السنين؟ وضع المسيح – حدث حضوره، اللقاء معه – في الماضي والعيش في الذكرى، في الحنين إلى البداية (هذا ما قاله لنا مؤخّرًا رئيس أساقفة ميلانو في عظة ذكرى دون جوسّاني)،[95] في محاولة – وفي افتراض – تطوير من جانبنا لتبعات اللقاء. إنّه إغراء كانط . وهكذا يصبح المسيح "عدم حضور"، وجودًا في الماضي، فرضيّة تكمن وراءنا، نلهم بها الالتزامات والمشاريع. وهذا ليس فقط الموقف البروتستانتيّ، رجاءً، فقد يكون موقفنا تجاه ذلك اللقاء الحاسم مع واقع الحركة الذي ميّز حياة جميعنا، نحن المتواجدين هنا.
يقول جوسّاني، «هناك خطر، وقد جرّبناه: كم منّا سقط فيه!» أيّ خطر؟ «كما كانت الإنسانيّة اعتبرت دائمًا العصر الذهبيّ كبدايات الزمن البشريّ، والفردوس الأرضيّ، كذلك شعر الكثيرون ببداية حركتنا أو بداية مشاركتهم في الحركة كنوع من العصر الذهبيّ، كنوع من سحر الإعجاب الذي ينزع عنه الزمن جاذبيّته: [...] لقد أرست البروتستانتية هذه النظرة على شخصيّة المسيح. تلك "كانت" اللحظة. ولماذا حدثت؟ حدثت لكي يتمكّن إنسان جميع الأزمنة، عند تذكّر تلك اللحظة، من الحصول على أمل للمستقبل، لما بعد الموت، لمصيره، خلال اجتيازه لهذه الحياة المليئة بخيبات الأمل في جميع المعاني، وقبل كلّ شيء من الخيبة الذاتيّة، الأخلاقيّة».[96]
هذا ما كتبه البابا فرنسيس للتوّ في الإرشاد الرسوليّ "المسيح يحيا": «هناك خطر أن نتّخذ يسوع المسيح كمثال

---

[92] نفس المصدر ص 64.
[93] نفس المصدر ص 60.
[94] Ch. Péguy, «Il mistero della carità di Giovanna d'Arco», in Id., *I misteri*, Jaca Book, Milano 1997, p. 56.
[95] عظة المطران ماريو دلبيني في ذكرى وفاة دون جوسّاني والاعتراف البابويّ بالأخويّة، 11 شباط/فبراير 2019. موقع chiesadimilano.it
[96] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., pp. 60-61.

صالح من الماضي وحسب، كذاكرة، كشخص أنقذنا قبل ألفي سنة. وهذا لا يفيدنا بشيء، بل يتركنا كما نحن، ولن يحرّرنا».[97]

ويتابع جوسّاني، «لهذا السبب أصررت على أنّ الإستثنائية تكمن في حقيقة أنّ التغيّر يستمرّ، وأنّه يصبح استمراريّة، يصبح تاريخًا، تصبح هذه الحقيقة تاريخًا دائمًا، وأنّ ذلك "المنشور" الأوّل [أي إعلان أن الله صار جسدًا، وصار حضورًا إنسانيًّا في التاريخ]، لا يزال بعد ألفي سنة صحيحًا، بمعنى الخبرة، متجدّدًا، جديدًا، معاشًا، وبعد مائتي ألف سنة، إذا ما بقي العالم، سوف يكون كذلك. الإلهيّ هو الغلبة على الزمن، ولكن ليس على الزمن المفهوم بالمعنى الإسكاتولوجيّ (كما في البروتستانتيّة: غلبة الله في نهاية الأزمنة، غلبة الله في نهاية حياتك، والذي يدينك بعد الموت)؛ إنّها غلبة الله في الزمن، على الزمن، داخل الزمن».[98]

والتحدّي الحقيقيّ يدور حول إذا كان ما بدأ يمكنه أن يستمرّ، إذا كان يمكنه أن يصبح ملكنا، أي إذا كان المسيح القائم من الموت قادرًا على توليد خليقة جديدة، شاهد، نرى فيه أنّ العلاقة مع حضوره ليست مؤجّلة إلى ما بعد الموت، ولكنّها الآن، لأنّ بإمكاننا أن تلمس حضوره الآن.

لذلك فإنّ بقاء الجديد لا تكفله «قوّة تماسكنا»، ولا تُعطيه قوّة الإرادة، و«استمرارية النداء التي لا تُضاهى»،[99] وذكاءٌ من جانبنا. لا! «الاستثنائية، التي يصبح فيها التغيّر تاريخًا، ويصبح استمراريّة، لا تزال [...]، يعطيها شيء موضوعيّ موجود بالفعل. وهذا واضح: إنّ دوام تغيّري وتغيّرك إمّا أن يعطيه شيء موجود فيك أو يعطيه شيء موضوعيّ موجود بالفعل؛ أو إنّه متعلّق بإرادتك أو متعلّق بشيء موضوعيّ موجود بالفعل – موجود بالفعل! بواقع يسيطر على الواقع المتحرّك. هذه هي رسالة المنشور الثاني: لقد قام المسيح، وقد وضع الله التاريخ بين يدي ذلك الإنسان!»[100]

يمكننا أن نردّد ذلك بكلمات البابا فرنسيس: «الشخص الذي يغمرنا بنعمته، الشخص الذي يحرّرنا، الشخص الذي يحولنا، الشخص الذي يشفينا ويساندنا هو شخص حيّ. إنّه المسيح القائم من الموت».[101]

كتب تولستوي: «مات المسيح قبل زمن بعيد، وكان وجوده الجسديّ قصيرًا، وليست لدينا صورة واضحة عن شخصه الجسديّ، لكنّ قوة حياته من الحبّ والعقل، وعلاقته بالعالم [...] ما زالت تعمل حتى يومنا هذا على ملايين البشر، الذين يقبلون في أنفسهم علاقته مع العالم ويعيشونها. وما هو، ماذا يتصرّف بهذه الطريقة؟ ما هذا الشيء، الذي كان مرتبطًا في السابق بالوجود الجسديّ للمسيح، والذي يشكّل الآن استمرارًا ونشرًا لحياته؟ نحن نقول إنّ هذه ليست حياة المسيح، وإنّها بالأحرى تبعاتها. وعندما قلنا هذه الكلمات التي لا معنى لها، يبدو لنا أنّنا قد تكلّمنا أكثر وضوحًا ودقّة من أولئك الذين يدّعون أنّ هذه القوّة هي المسيح نفسه، الحيّ».[102]

المسيح قام من الموت يعني أنّ المسيح حاضر، وأنّه هنا، كما في اليوم الأوّل: «هناك واقع في العالم، هناك حقيقة لمست لحمنا وعظامنا مع المعموديّة، وهناك واقع يصبح مسموعًا ومرئيًا من خلال رفقتنا [...]، هناك حقيقة تخترق الزمن، وتخلق تدفقًا، شعبًا لن تكون له نهاية، يُدعى إليه كلّ البشر، وهناك حقيقة هي الله الذي صار إنسانًا. من صنع كلّ شيء تماثل مع هشاشة الجسد، يتماثل مع هشاشة الجسد، يصبح مسموعًا وملموسا مع هشاشة الجسد. ما صُنع الإنسان لأجله هو هذا الإنسان الذي بيننا».[103]

في عام 1984، وفي عودة بالذاكرة إلى بداية تاريخنا، قال جوسّاني: «هذا بالتحديد ما أعطى الحركة سحرها الأوّليّ. منذ اليوم الأوّل الذي تحدّثنا فيه، كانت الرسالة التي أعطيناها هي غلبة المسيح على العالم، غلبة المسيح على التاريخ: "يسوع المسيح هو مركز الكون والتاريخ"».[104]

المسيح معاصر للتاريخ – وهو مسموع وملموس من خلال رفقة الكنيسة، من خلال هشاشة الجسد – لذلك يجب

---

[97] البابا فرنسيس، الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس "المسيح يحيا" إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، 124.

[98] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 61.

[99] نفس المصدر ص 57.

[100] نفس المصدر ص 62-63. «بالنسبة لي يكفي إذا كان يسوع حيّا. إذا كان يحيا فأنا أحيا، بما أنّ روحي تتعلّق به، وحتى أكثر هو حياتي، وما أحتاجه. فماذا ينقصني إذا كان يسوع حيّا؟ حتى عندما اخسر كلّ شيء، لا يهمّني طالما أنّ يسوع حيّ. (Guerrico d'Igny, «I Sermone per la Resurrezione del Signore», in Scuola Cisterciense, *Pensieri d'amore*, Piemme, Casale Monferrato (Al) 2000, p. 257).

[101] البابا فرنسيس، الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس "المسيح يحيا" إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، 124.

[102] L. Tolstoj, *Sulla vita*, op. cit., p. 198.

[103] L. Giussani, *La verità nasce dalla carne*, Bur, Milano 2019, p. 115.

[104] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 64.

أن نعيشه الآن: أنا، أنت، نحن، «أن نعيشه في إعادة حدوثه، وجميع قوى السلطة، من أيّة طبيعة كانت، مدنيّة أو كنسيّة، لن تكون قادرة على وقف هذه المعاصرة، أبدًا!». ويضيف دون جوسّاني ملاحظة تنطبق علينا اليوم، نحن التوّقون في كثير من الأحيان إلى الاعتماد عليها بسبب انعدام الأمن الوجوديّ لدينا: «نحن لا نعرف ما إذا كانوا سيكونون في نهاية العالم اثني عشر، كما افترض سولوفئيف وتصوّر، أو اثني عشر مليار: لا يهمّ، لا علاقة لنا به. ما له علاقة هو أنّ معاصرة المسيح للتاريخ لن يتمّ تعليقها ووقفها، أبدًا [...]. لذا يجب أن تكون أمانتنا خبرة ماهيّة المسيح في المنشور الأوّل: الأمانة لهذه الحقيقة التي حدثت. لذا فإنّ الأمانة هي خبرة التغيّر كاستمراريّة في التاريخ، وخبرة التغيّر الذي أنتجه [...] واقعٌ موجود بالفعل: إنّها الأمانة لهذا الشيء الموجود»[105] والذي يغيّرني الآن، مولّدًا فيّ مخلوقًا جديدًا يستمرّ في الزمن.
هاكم توثيق على الأمانة لهذا الشيء الموجود:

«أدرك أنّه يكفي أمرٌ بسيط (مرض، قرار محفوف بالمخاطر، حادث طريق) لأحمي ظهري وأرخي قبضتي عمّا يبدو لي أنّه تحت سيطرتي. لقد حدث ذلك مرّتين وقد يحدث من جديد. للإجابة على سؤالك لا يسعني إلا أن أستحضر تجربتي الشخصيّة. ما الذي ساعدني على الخروج ممّا كان يبدو، حرفيًّا، سجنًا كانت قضبانه عبارة عن عدم اتّساق أفعالي وأفكاري؟ لم يمنعني الإعصار الذي كنت أعيشه من التمسّك باللفتات التي ظلّ أصدقاء الأخويّة يقترحونه عليّ. لفتات بسيطة، في الخفاء، ولكن مقترَحة بأمانة لا تنضب. كنت أذهب إلى مدرسة الجماعة شارد الفكر، ولكنّني كنت أذهب. وكنت أتابع أعمال خيريّة منظمّة ببساطة شديدة. كنت أراقب وأستمع. من "سجني" كنت أنظر إلى الوجوه وأستمع إلى الأغاني باهتمام لم يسبق لي أن حظيت به من قبل. كنت أكرّر الكلمات وأتعجّب من أنّها تبدو موجّهة لي: "لا تخف"، "أنت إله مخلص"، "سوف ينزع أحذية الجميع"، إلخ. أخشى تقريبًا قول ذلك، ولكنّ الحياة كانت لا تزال حياة من خلال هذا الحضور البسيط والمخلص الذي أثارته لفتات عشناها وأغانٍ غنّيناها آلاف المرّات. ما الذي كنّا نثيره، إن لم يكن حضورًا حاليًّا؟ "أنت" يعرف أفكاري، ويعيش فيّ».

3. «والغلبة التي يُغلب بها العالم هي إيماننا»

لكنّ «خبرة التغيّر كاستمراريّة في التاريخ»، تمامًا كما قادنا دون جوسّاني للنظر إلى هذا الأمر، تضع موضع نقاش صورة التغيّر لدينا. «المشكلة هي تخطّي صورة نفسيّة للتغيّر». لاحظوا الرهافة التي يشير بها جوسّاني إلى هذا الأمر: «المفهوم النفسيّ للتغيّر هو عندما يقول المرء: "نعم، يجب أن أكون أكثر ... يجب أن أعرف كيف أحبّ وليس لاستغلال الآخر أو الأخرى..." [...]; ولكن بعد ذلك يبقى مستسلمًا للأقدار في الجماعة أو يشعر بالخيبة لأنّه لا يتغيّر». لماذا نشعر بالخيبة في كثير من الأحيان؟ لأنّنا نحدّد التغيّر بشيء نقيسه نحن. «كم من الأشخاص بيننا اعترضوا على أنّ الوعد لم يتمّ الوفاء به، وأنّهم لم يتغيّروا في شيء! كم مرّة سمعت نفسي أقول: "ولكن لا شيء يتغيّر!". إنّه تصوّر نفسيّ للتغيّر، أي إنّه تغيّر تلاحظه بوعيك، وأنّك تقيسه بملاحظتك، بملاحظة وعيك: كان مزاجي ساخطا ولا يزال؛ وكانت لي ميول نشل فأجد نفسي وقد وضعت في جيبي أغراض رفيقي، ثم انتهيت من الجامعة، ودخلت المهنة، [...] وأنا لا أعرف ما العمل، كلّ شيء على حاله، لا شيء يتحرّك أو لا يتحرّك وفق ما كنت أتوقّعه».[106] باختصار، نحن نتصوّر تغيّرنا وفقًا للصورة التي نتنفسها حولنا، التي نخلقها بأنفسنا، أي كزيادة لقدراتنا، وتحسين لأدائنا.
ولكن، إذا كنّا غير قادرين على قياسه، فما هو التغيّر؟ هل التغيّر افتراضيّ؟ ما هو التغيّر الحقيقيّ؟
«إنّ خبرة التغيّر يحدّدها، قبل كلّ شيء، الاعتراف بالمسيح بوصفه غالب التاريخ. وهذا هو الإيمان.[107] المسألة

---

[105] نفس المصدر ص 64-65.
[106] نفس المصدر ص 65، 62.
[107]«المهمّة الأولى للمسيحيين هي أن يشهدوا للقيامة. وهم أيضًا متمرّدون لا يستطيعون أن يستسلموا للوضع الإنسانيّ. ولكنّهم يعرفون أنّ شخصًا ما قد مرّ حيّا على الجانب الآخر من الأشياء وفتح لهم الطريق». (O. Clément, *La rivolta dello Spirito*, Jaca Book, Milano 1980, pp. 169-170)
«من غير المعقول أن يبقيني المسيح الذي قام من الموت على حالي من غير تحوّل. إنّه حيّ بالتحديد لكي يحوّلني. الإيمان بالمسيح هو الإيمان بأنّ هناك مبدأ ديناميًا للتحوّل، أي للتحرّر. فأنا لست حرّا، في الواقع، لأنّني خاطئ وأنا أعرف ذلك جيّدًا. ولا أستطيع أن أتحرّر إذا لم أتحوّل. هذه هي القيامة. إنّها ليس إنعاش جثّة، بل الانتقال إلى الحرّيّة، حرّيّة الحبّ. وهذا الانتقال إلى الحرّيّة ينطوي على تحوّل جذريّ». (F. Varillon, *Traversate di un credente*, Jaca Book, Milano 2008, p. 149).

– المسألة! – هي اليقين من أنّ هناك بيننا الغلبة على التاريخ. يقول القدّيس بولس: "لو لم يكن المسيح قد قام، لكان إيماننا باطلا، ولكنّا أكثر الناس تعاسة"»[108].
لذلك، فإنّ التغيّر الحقيقيّ، ما يجعلك تقوم كلّ صباح مع الأمل، مهما كان الوضع الذي يجب أن تواجهه، مهما كانت الصعوبات التي يجب أن تمرّ بها، هو اليقين بأنّ هناك بيننا غلبة المسيح في التاريخ. إنّها الميتانويا *metànoia*، التغيّر في العقليّة. إي أنّ التغيّر الحقيقيّ هو الإيمان، الاعتراف بحضوره الآن. هذا هو الانتصار في التاريخ والتاريخ، «والغلبة التي يُغلب بها العالم هي إيماننا».[109]

وهذا ما تشهد عليه هذه الرسالة:
«أشكرك جزيل الشكر على السؤال الذي طرحتَه علينا لرياضة الأخويّة. من اليوم الذي أرسلته إلينا وأنا أعيش كلّ لحظة من لحظات يومي برغبةٍ في أن أرى في ظلّ هذه الظروف ما يستجيب حقا للاستحثاث الذي أطلقته. خلال هذا الوقت أدركتُ أنّ ما يثبت أمام وطأة الزمن هو فقط الاعتراف بأنّ يسوع يحدث باستمرار ويرافقني هنا والآن. الشيء الوحيد الذي يجعل من الممكن استمراريّة البداية هو الاستمرار في رؤيته حيّا في وسطنا وقابل للقاء في كلّ ظرف من الظروف المعطاة لي. وما يسمح بالاستمراريّة، وما يسمح لي بأن أكون شديدة الفرح في كلّ ظرف، حتى في أشدّها شقاءً، هو الأمانة لهذا الاعتراف. في هذه الفترة لديّ أصدقاء يقاسون ظروفًا صعبة، في الأسرة، والعمل، أو بسبب الأمراض، وفي علاقتي بهم أدركت أنّ الرفقة الحقيقيّة التي يمكننا القيام بها هي ان نتابع معًا مكانًا يكون من السهل فيه الاعتراف بيسوع الحاضر، لأنّ هذا وحده يسمح لنا برفع أعيننا وعدم الاستسلام للتعب. قبل خمسة عشر يومًا كان على صديق عزيز لي أن يدخل المستشفى لإجراء عمليّة صعبة، وكان يعيش هذا الظرف بالكثير من الخوف والكرب. وبشكل غير متوقّع، اتصل بي في إحدى الأمسيات وقال لي أنّه أعجب كثيرًا برسالة منشورة في مجلّة "تراتشي" لفتاة من بولونيا، لأنّ ما قالته هو بالضبط الجواب على ما يكربه في ذلك الوقت. قلت، "رائع! ولكنّ هذا هو يسوع لك! وفي اليوم التالي، عندما التقينا، كان وجهه مختلفًا. مختلفًا حقًا، نظرة أخرى، أكثر سعادة، أكثر راحة. كان كافيًا أن يعترف بحضور يسوع حتى يتغلّب على الخوف واليأس! [ولكن ألا يزال هناك من يعتقد هذا؟] الاعتراف بيسوع الذي يرافقنا ويساعدنا على رؤية العلامات الجليّة لحضوره هو ما يسمح لنا بمواجهة الظروف، أيّ ظرف، بنظرة جديدة. عندها أفهم أكثر وأكثر أنّ التغيّر الحقيقيّ الذي يثبت أمام وطأة الزمن هو الاعتراف بغلبة المسيح هنا والآن. وأنّ اتّباعك هي قبل كلّ شيء الإمكانيّة بالنسبة لي أن يكون هناك دائمًا من يساعدني في الاعتراف بيسوع الذي يظهر في حياتنا. إنّ نتيجة هذا السير بإخلاص للسلطة (وهي الطريقة التي يصلني بها السرّ تاريخيًّا) هي أنّني أذهب إلى الفراش كلّ ليلة سعيدةً، في سلام، وممتنّة لكلّ العطايا التي يقدّمها لي السرّ باستمرار».

كما ترون، إنّه تغيّر يستمرّ مع الزمن.
«المسألة هي اليقين بأنّ هناك غلبة على التاريخ بيننا. وهذا اليقين، والذي يسمّى الإيمان، هو بالتحديد الذي يعطينا القدرة على بذل جهد أخلاقيّ لا ينضب.[110] ولكن [...] يصبح الجهد الأخلاقيّ "مشاركة في واقع"».[111] إنّ الأنا، كعامل فاعل في التاريخ، يولّدها المسيح الحاضر، والاعتراف المسيح الحاضر. هذا هو الفرق الكبير بين الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة. يصرّ جوسّاني قائلا: «إنّه السحر الذي يملكه ادّعاء معاصرة المسيح للتاريخ، [...] إنّه سحر الأهمّيّة التاريخيّة للمسيح القائم، إنّه الاعتراف بالمسيح القائم والذي يشكّل الفرد التاريخيّ الجديد، المختلف عن الآخرين، وهو نحن. وبقولنا هذا الـ"نحن" يفهم المرء بدهشة الفرق السحيق بين هذه الطريقة التي يمضي بها الله قدمًا في التاريخ وقدراته الخاصّة، نتيجة قدراته الخاصّة. إنّ نتيجة قدراتنا ينبغي أن تعيدنا إلى الوراء على الفور. لكنّها مسألة أخرى: ليست الأخلاقيّة، بل الإيمان. الأخلاقيّة ممكنة نتيجة للإيمان. [...] لذلك [كما يمكنكم أن تقرؤوا في منشور الفصح لهذا العام]، كان الناس الذين يلحقون به، والتلاميذ الذين تبعوه، [...]

---

[108] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 66.

[109] راجع رسالة يوحنا الأولى 5، 4.

[110] «لقد كان ذلك الشخص يعرف كيف يربطني بالانضباط والتضحية بمجرّد بذله لنفسه [...] كان بذله لنفسه يرفعني لحدس واجبات جديدة، ويجعلها جسمًا أمامي». (C. Pavese, *Il mestiere di vivere*, Einaudi, Torino 1990, p. 34)

[111] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 66.

بسطاء مثلي ومثلك، لكنّ كلّ حداثة الأمل، واليقين الجديد تمامًا، والحقيقة الجديدة، كانت متمثلة بذاك الحضور. عصرانيّة ذلك الحضور بالنسبة لي، للأبناء، ولمن سيولدون في المستقبل، بعد مائة مليون سنة: هذا هو النصر الذي يغلب العالم، هذه هي الحداثة المطلقة، هذا هو الإلهيّ في التاريخ! أنا سأظلّ على حالي شخصًا مسكينًا، ولكنّني مع المسيح أكون موقنًا وذا ثروة. وشخصي، كسحر وجاذبيّة، أي إمكانيّة عشقي لشخصي، هو أنّ ذاك الحضور موجود.[112] فمن خلال رفقته وحدها يحبّ الإنسانُ نفسَه، والتعلّقُ بالذات يكون فقط ممّن يحملون هذه الرسالة؛ حبّ الذات وبالتالي محبّة الآخرين».[113]

إنّ المورد الحقيقيّ لحياتنا هو حضور حاضر، يملأنا دهشة لأنّه موجود! «المسيح يحيا. إنّه رجاؤنا وأجمل شباب هذا العالم. [...] إنّه يحيا ويريدك حيّا!»[114] وبفضل هذا الحضور لا تحدّدني في نهاية المطاف أوجه القصور لديّ، ولا فشلي، ولا عدم قدرتي، ولا شرّي. إنّ المشاركة في الواقع الإنسانيّ الذي يحضر فيه المسيح هي الردّ على العدميّة التي نجدها أمامنا، وعلى كلّ انعدام الثقة، وعلى كلّ تصوّر لعدم قدرتنا، أكثر من ألف خطاب، ومن ألف ثرثرة بيننا، ومن ألف مشروع. واقع، هذه هي المسيحيّة! ليست النقاشات بيننا، وليست محاولاتنا، بل واقع، مع دليل لا مفرّ منه.

إنّ يقين حضوره، الذي يسمّى "الإيمان"، هو بالتحديد ما يعطينا قدرة لا تنضب للوقوف أمام كلّ شيء. لذا فإنّ الأخلاقيّة الحقيقيّة الوحيدة هي فقر الروح لدى أولئك الذين يعترفون بواقع، إنّها بساطة القلب، لأنّ التلاميذ ما كانوا ليحلمون بذلك، ما كان ليخطر ببالهم أنّ شيئًا من هذا القبيل سيحدث أمام أعينهم بعد أن وضعوه في القبر: أن يروه حيّا!

لمن يمكننا أن نقول «أنت دائمًا معي؟»، «أعرف، يا حبيبي، / أنّك لم تتركني / لأنّ كلّ شيء من حولي / يقول لي أنّك دائمًا معي».[115] انتبهوا، إنّ الاعتراف به حاضرًا ليس أمرًا آليّا، فهو ينطوي على صراع بين الخبرة التي يعيشها أحدنا والعالم الذي لم يعرف المسيح، بين الخبرة التي عاشها التلاميذ مع المسيح القائم من الموت وجميع الثرثرة التي أُطلق لها العنان حول النساء: «ساو لوكاس! ساو لوكاس!». إنّهنّ مجنونات. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عنّا: «أنتم مجانين!».

والتحدّي الحقيقيّ الذي يواجه عقل كلّ واحد منا وحرّيّته يكمن في هذا الاعتراف، لذلك لا يوجد قرار أكبر من الإيمان. لم نأتِ إلى هنا لنعزفها ونغنّيها – كما يقولون – معتقدين أنّنا وجدنا ما يثبت أمام وطأة الزمن بالعصا السحريّة، كما لو كنا قد أخرجناه من القبّعة. لا، نحن هنا للوصول إلى عمق ما حدث لنا. ونحن نرى إلى أقصى حدّ ما لقيناه، نتيقّن من الخبرة التي نقوم بها – كلّ واحد منكم فليقل إن لم يكن كذلك – فقط بقدر ما نعترف بالمسيح العامل بيننا. دعونا نفكّر في الأمر: كلّ واحد منّا عليه أن يمحو كلّ علامات الجدّة التي اكتسبها، إذا ما أزال حقيقة المسيح القائم من الموت، والحاضر والحيّ في الجماعة المسيحيّة.

ولكن عندما أعترف به حيًّا وحاضرًا، كيف يمكنني الاستيقاظ في الصباح دون أن أرغب في الاعتراف به مرّة أخرى، أن أحمله في نظري؟ دعونا نتصوّر أنفسنا للحظة مكان التلاميذ: كيف أمكنهم، بعد أن رأوه حيّا، أن يستيقظوا صباح اليوم التالي للذهاب لصيد السمك، للذهاب إلى جميع أنحاء العالم لنقل المسيح، القيام بأشياء عاديّة (كما هو الحال بالنسبة لنا أن نركب الحافلة أو ننظّف المنزل)، دون أن يحملوه في نظرهم؟ لم يكن باستطاعتهم تجنّب غمر حضوره. لهذا السبب، يلخّص الوجود المسيحيّ، بالنسبة لأولئك الذين اعترفوا به ويعترفون، في هذه الكلمات الجميلة للقدّيس بولس، التي كثيرًا ما سمعناها: «بينما أحيا في الجسد، أحيا في الإيمان بابن الله الذي ضحّى بحياته من أجلي».[116] هذا هو التغيّر الحقيقيّ: أنا أحيا مغمورًا بهذا الحضور؛ ليس جهدي للتغيّر هو ما يحدّدني، بل الوعي بما حدث في حياتي. استكينوا وارتاحوا، أيّها الأصدقاء، فلسنا نحن من يجب أن "يثبت"، وليس جهدنا هو ما يدعم كلّ شيء. لا، لا، إنّه قام، وليس علينا أن ندعم قيامته. فالأمر معكوس: إنّ المسيح الذي قام هو من يدعم حياتنا. وفقط لأنّك تعترف بقيامته تستريح، ولا يعود الكرب والإجهاد

---

[112] «لا وأخيرًا، لا ينبغي أن نطلب من الربّ الرحمة فحسب، بل يجب أن نوجّه كلّ مودتنا إليه: لذلك سوف نحبّ أنفسنا من أجله». (San Bernardo, *Sermoni/III: diversi e vari*, Scriptorium Claravallense. Fondazione di Studi Cistercensi, Milano 2000, p. 159).

[113] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., pp. 67-68.

[114] البابا فرنسيس، الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس "المسيح يحيا" إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، 1.

[115] *Barco Negro*, musica di Caco Velho e Piratini e testo di D. Mourão-Ferreira.

[116] راجع غلاطية 2، 20.

يسودان. وعندها نبدأ في التغيّر، وكلّ الحياة تبدأ في التغيّر، تقريبًا دون أن ندرك ذلك، دون أن نريده: نحن ببساطة نجد في أنفسنا ديناميّة ليست من عندنا، ونندهش لرؤية أنفسنا مختلفين.
وعندها تجلب خبرة الاعتراف بالمسيح معها خطوة أخرى: ما هو أبعد من الاعتراف، «دوام الاعتراف. ما اسمه؟ الذكرى. وفي الواقع، ما الذي طلبه المسيح؟ الذكرى. طلب أن نذكره: "اصنعوا هذا لذكري". وما "هذا"؟ كلّ شيء». إنّها الذكرى، «الاعتراف الدائم» بحضوره، «الاستمراريّة الحقيقيّة لشخصنا. إذا كان الاعتراف هو المحتوى الرائع لشخصنا، إذا كان الاعتراف بك، أيّها المسيح، هو كلّ ما أنا عليه كاتّساق، فإنّ دوام هذا الاعتراف يشكّل – يشكّل! – شخصنا كاستمراريّة».[117]
بطبيعة الحال، قد يسوق أحد اعتراضًا: «كيف يمكنك المقاومة؟». لكنّ الاعتراض ينتفي جذريًا: «"المقاومة قد أعطيت" [لست أنت من يقاوم] [...]، لأنّ المقاومة هي المسيح»،[118] فهو من يقاوم، وفي مقاومته يسمح لك أيضًا بالمقاومة. إنّ الأمر هنا أيضًا معكوس. واكتشافنا لذلك يحرّرنا فعلا.

4. مكانٌ هو الطريق

للإبقاء على هذه الذكرى حيّة أُعطي لنا مكان: «المكان الذي تنشأ فيه هذه الذكرى [...]، مصدر هذه الذكرى، أي حيث يُلتمس الاعتراف ويُستدعى باستمرار، هو علامة نصر المسيح هذا في التاريخ، هو الجماعة الحيّة، الرفقة الجديدة، أي أشخاص هم معًا لأنّ المسيح هناك».[119]
إذا أردنا أن ندوم، إذا أردنا أن نثبت في الزمن، فلا يمكننا أن نقوم بذلك إلا في المكان الوحيد الذي يثبت. ليس جهدنا هو ما يثبت. لذلك، يشدّد دون جوسّاني، يتعلّق الأمر بـ «ارتياد علامة غلبة المسيح! » وهي رفقة يكون فيها «من هو بيننا».[120] لذلك فإنّ واجبنا العمليّ هو ارتياد علامة هذه الغلبة، تمامًا كما ذهب التلاميذ للبحث عنه في اليوم التالي والأيّام التالية، وذلك بالتحديد لأنّهم يعون بأنّهم إذا لم يروه، فستبتعد في الزمن الجدّة التي لقوها، وستصبح غير فعّالة.

«عزيزي دون كارّون، أريد أن أروي لك أمرًا حدث لي. يجب أن أبدأ من 1 أيّار/مايو 2012، من رسالتك إلى صحيفة ريبوبليكا،[121] والتي – في رأيي – نأيتَ فيها بنفسك عن أشخاص من الحركة استدعوا إلى تحقيقات قضائيّة. لقد احتقرت تلك الرسالة وظننت أن والدًا لا يكتب بهذا الشكل عن أولاده. ظننت أنّ دون جوسّاني ما كان ليكتب شيئًا كهذا. وبعد أشهر استُدعيت أنا أيضًا للتحقيق، وانقلبت حياتي من الصباح إلى المساء: فقدان الوظيفة وجميع الصعوبات التي تنشأ في هذه الظروف. على الرغم من التعب، رافقتني على الفور فكرة أنّ ما يحدث هو من أجل تغيّر الشخص، وبالإضافة إلى هذا فإنّ الله لم يحرمني من الأساسيّ: رفقة زوجتي الحقيقيّة العميقة، ومساعدة الأصدقاء ودعمهم الماديّ. ولكنّي كنت مشوّش الأفكار، فحياتي السابقة (العمليّة والعامّة) لم تعد موجودة وانفرط عقد مجموعتي في الأخويّة. وأصبحت بعض الجوانب الهامّة من عشرين عامًا من الحياة السابقة موضوع شكّ، واهتمامي في الحركة في أدنى مستوى لها على الإطلاق: بدا كلّ شيء معقدًا، غير مفهوم، بعيدًا عني. وقادتني الحاجة إلى جواب إلى طرق لا تنتمي إلى سيرتي: ذهبت إلى ميديوغوريه، وصلّيت أكثر من أيّ وقت مضى، وفي الوقت نفسه في "بدايتي من جديد" كنت أشعر بعدم اكتمال. ثم أصبحت زوجتي، لأسباب تتعلّق بالعمل، صديقة لشخصٍ من الحركة كنّا نعرفه سطحيًا. كان الأمر بمثابة حفرة صغيرة في السدّ، توّسعت بعد ذلك، حتى انهارت الهيكليّة كلّها. بدأت الجدّة تشقّ طريقها مرّة أخرى، من خلال الجسد، وأنا – بدلا من إطلاق العنان لنفسي – لم أعارضها. ليس فجأة، ولكن ببطء، وبطبيعة الحال، بطريقة غير محسوسة تقريبًا، وحتى مع بعض التحفّظات، وجدت نفسي داخل هذا التغيّر، داخل هذا الاستيعاب من جديد. وعندما صدر، بمناسبة الإعلان المؤلم للحكم على روبيرتو فورميغوني، البيان الصحفيّ للحركة،[122] وجدته جميلا; وأجمل منه

---

[117] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 68.
[118] نفس المصدر، ص 69.
[119] نفس المصدر والصفحة.
[120] نفس المصدر والصفحة.
[121] J. Carrón, «Carrón: da chi ha sbagliato un’umiliazione per Cl», *la Repubblica*, 1° maggio 2012, pp. 1 e 11.
[122] «Formigoni. Nota di Comunione e Liberazione», Il comunicato dell’ufficio stampa di CL sulla condanna di Roberto Formigoni, 22 febbraio 2019, clonline.org

وجدتُ مقال صحيفة أفينيري[123] الذي علّق على البيان، واصفًا إيّاه بأنّه "مسيحيّ بلا حدود". دخلت المنزل، فوجدت زوجتي مشغولة، ولكنّنا تبادل التحيّة وقلت لها كم هما جميلان البيان والمقال، ثم جلست إلى المائدة وبينما كنت تناول العشاء أرسلت لي رسالة بالواتساب: إنّها رسالة من كارّون، يبدو أنّه يفسّر ويعلّل فيها البيان الصحافيّ. "لقد فاتتني هذه" قلت في نفسي، وهي الرسالة التي تفسّر البيان، وكانت أكثر تحليلا، وأكثر اكتمالا. قرأتُها كلّها ووصلت إلى أسفلها: إنّها ليست صادرة اليوم، بل تحمل تاريخ 1 أيّار/مايو 2012. كانت الرسالة التي كنت قد احتقرتها قبل سبع سنوات تقريبًا. والآن، وأنا أكتب هذه السطور وأقرأ رسالتك الصادرة قبل سبع سنوات، أودّ أن أستشهد هنا بجميع الجمل التي تصفني، ولكن من المستحيل أن أختار، لأنّ رسالتك كلّها تصف هذه السنوات من ولادتي الجديدة؛ في تجربتي الرسالة كلّها تجيب على سؤالك: "ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟"».

ثقب صغير فقط في السدّ والبدأ بالمتابعة.
ألا تريد أن يفوتك ما وجدته؟ أنت تعرف أين قابلته وتعرف بالتالي أين يمكنك العودة لأنّه ينتظرك. ليست غلبة محاولتك، لأنّ محاولتك تخطئ – مثل محاولتي –، وهي غير قادرة على المقاومة، ولا على الثبات. لذلك دعونا لا نضيّع الوقت وراء جهودنا. أتريد أن تثبت؟ انظر إلى حيث تتعرّف على شيء يثبت. وإذا وجدتَه في الحركة، بسبب اختلاف طريقة العيش معًا، بسبب قدرتها على استردادك، بسبب إقناعها الذي جعلك تكتشف الإيمان، فتكون طريقة الثبات هي الالتزام مع الحركة، مع هذه الرفقة، علامة حضوره من أجلك. الأمانة له، من خلال الأمانة لهذه الرفقة.
إنّ رفقتنا، قال دون جوسّاني عام 1989 – تجدونه في الكتاب الأخير من الرياضات، *La verità nasce dalla carne* – «لديها هذه الوظيفة الرئيسيّة والفوريّة لكلّ واحد منّا. الربّ عظيم، وكان بإمكانه أن ينشئ بلايين الأشكال الأخرى، وفي الواقع الكنيسة مليئة بثراء هذه الأشكال المختلفة: لقد تأثّرنا بهذا الشكل. ولو لم نتأثّر هكذا، لما كان من الضروريّ ما هو بيننا: وحيث أنّه بلغنا بهذه الطريقة، فهو ضروريّ، والتخلّي عنه، وسحقه، ونسيانه، وعدم استخدامه هو خيانة لله. لا يمكنك أن تقول، "لقد جئتني يا ربّ على هذا الطريق، وأنا أجيء إليك على طريق آخر". لا! لذلك، من خلال رفقتنا وصداقتنا هذه، مهما كانت هشّة، نذهب إليه. يا إلهي، أتمنّى لو أستطيع أن أمشي مع كلّ واحد منكم، ولست قادرًا، ليست لديّ الطاقة والوقت للردّ على جميع الرسائل! ويجب أن تسامحوني، لأنّني أقسم لكم أنّ القلب يختلف عمّا يظهر عليه. دعونا نساعد بعضنا بعضًا: هذه هي الطريقة التي يدعونا فيها الربّ إليه، إلى اليقظة؛ هذا الطريق الهشّ، الطريق المشكوك فيه في العديد من النواحي، ولكنّها الوسيلة التربويّة، والأسلوب التعليميّ الذي أعدّه الربّ لك. وإلا، إذا لم تكن مقتنعًا بذلك، أتعتقد أنّني أوافق على أن أكون هنا للتحدّث؟ أقسم لكم، لوددت الاهتمام بنفسي والانفراد للصلاة!»[124] تخيّلوا كيف كان محرّرًا بالنسبة لي، أنا الواقف هنا على المنبر للتحدّث إليكم، أن أقرأ كلمات دون جوسّاني هذه!

5. «الوزن الثقافيّ لتغيّرنا»

عندما يعيش المرء الدعوة إلى الذكرى في المكان الذي اختاره المسيح لإشراكه، فإنّه يجد نفسه مليئًا بالطاقة للبدء دائمًا من جديد، ولا يُقهر. كما حدث للتلاميذ. يمكنني أن أخطئ ألف مرّة وألف مرّة أخرى، ولكنّني أستئنف من جديد ويمكنني نقل الجدّة للآخرين، ويمكنني أن أدعو الآخرين للمشاركة في حياتنا. مرّات عديدة سوف يقولون لا، ولكنّني أستأنف باستمرار، لأنّني لا أعتمد على ردةّ فعلهم. «هذه القوّة التي لا تُقهر indomabilità، السهلة كالتعرّف إلى وجه أمّنا واحتضانها وتقبيلها، هي عن حقّ اختبار الغلبة على الزمن فينا، وهي الصدى المتردّد فينا لغلبة المسيح على الزمن». هذه القوّة المدهشة التي لا تُقهر هي العلامة فيّ، فيك، الآن، ليس فقط في اليوم

[123] M. Leonardi, «Ma non si è figli perché non si sbaglia», *Avvenire*, 26 febbraio 2019.
[124] L. Giussani, *La verità nasce dalla carne*, op. cit., pp. 239-240.

الأخير، ولكن في التاريخ، في الارتباك الحالي، لغلبة المسيح على الزمن، لقيامته. «وهكذا يخاطر المرء بطاقته في الاقتراح، في الاقتراح لنفسه وللآخرين. لماذا؟ لأنّ هذه الغلبة هو تحقيق الإنسانيّ».[125]

كتبت لي إحداكم:
«قبل شهرين تقريبًا، في المدرسة التي أعمل فيها منذ ما يقرب من عامين، توفّي أحد تلامذتنا فجأة. فأثار الألم والذهول أمام هذا الحدث ديناميّات وحوارات غير متوقّعة. وعلى وجه الخصوص كان هناك "لقاء" حقيقيّ مع زميل، شعرت على الفور بانسجام قويّ معه. أقول على الفور إنّه يعرّف عن نفسه بأنّه ملحد ويكره كلّ ما له علاقة بالكنيسة. وفي إحدى أكثر اللحظات إيلامًا لفقدان تلميذنا اعترف لي بأنّه يشعر بعدم الرضا وبأنّه يحاول منذ فترة طويلة تهدئة الاضطراب الذي يشعر به. وأضاف أنّه يشعر بأنّه غير كفؤ تجاه طلبات المساعدة من طلابنا، في حين أنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة لي. في الواقع، قال لي: "أنت مرتاحة مع الجميع. وعندما تواجهين الآخر فإنّك تقبلينه لدرجة الانتفاء، لدرجة أنّ الآخر يصبح في المركز". وأضاف: "أنت حاضرة. دومًا. ولكنّك حاضرة دائمًا في مكان آخر . وأخيرًا، خلص إلى القول إنّه يراني "كاملة، تامّة". قرّرنا أن نتقابل لنتحدّث بهدوء، لأنّه يريد أن يفهم أكثر ما هو بالنسبة لي ذلك "المكان الآخر" الذي رآه».
تحقيق الإنسانيّ. «هذا هو الوزن الثقافيّ لتغيّرنا».[126] هذه هي مساهمتنا في العالم: في حين أنّ معظم الناس يشعرون بالغربة ويعيشون في حالة من الفوضى، لدرجة أنّ شخصًا مثل أولريخ بيك، وبعدما كرّس حياته كلّها لدراسة المجتمع، استنتج أنّه لم يعد يفهم العالم،[127] ونحن – للنعمة التي تلقّيناها ونتلقّاها كلّ يوم –لا نشعر بالغربة، تمامًا كما كان التلاميذ في خضمّ الفوضى الضاربة في الإمبراطوريّة الرومانيّة لم يشعروا بالغربة. هذا هو الوزن الثقافيّ لما نحمله، والأهمّيّة الثقافيّة للاقتراح الذي نواجه به التاريخ وانهيار كلّ شيء. جميع الأشكال التي صمدت حتّى الآن يمكنها أن تنهار، لكنّ غلبتنا لا تتحدّد بأشكال معيّنة والبقاء متعلّقين بها. لهذا يمكننا أن نبدأ من جديد، كما بدأ المسيحيّون الأوائل بعد انهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة. لقد جاء البرابرة، لكنّ المسيحيّين بدؤوا من جديد، وبشكل عظيم. ومع أنّ كلّ شيء كان قد انهار، فإنّ ذلك لم يُسقطهم، لأنّ أساسهم لم يكن موضوعًا في ذلك العالم المتفكّك. ونحن أيضًا نعيش لحظة انتقاليّة، من المحنة، ونحن أيضًا يمكننا أن نتحدّى هذا الوضع باقتراح مليء بالمعنى.
«تجربة التغيّر تكون» – تتكوّن، تولد، تزدهر – «في الاعتراف بالمسيح»; إيماننا هو في حضور المسيح الذي يغيّرنا، لأنّه «يسمح للعالم أن يعود حقيقيًا من خلال انتصاره على الشرّ، لأنّ الشرّ هو غير الإنسانيّ، هو غير الصحيح»، والغلبة على ما يمرّ ولا يدوم. وهكذا نبدأ في المشاركة في انتصاره، في المائة ضعف الممكن اختباره في هذا العالم، في فرح وسلام وسعادة وطاقة حتّى لنسأل أنفسنا بدهشة: «من أين يأتيني كلّ هذا؟». علينا أن نفهم من أين يأتي، وإلا فلماذا يجب أن نعود إلى هنا؟ يأتينا من المسيح الحيّ. «إنّ معاصرة المسيح في التاريخ هي وعد للحاضر، إنّها مائة ضعف قابلة للاختبار، حتّى لو كانت دائمًا مختلفة عمّا يمكن تصوّره. كم من الناس يأتونني قائلين: «المائة ضعف غير موجود. أين هو المائة ضعف؟». بالطبع، إذا كنتَ تعتقد أنّه يطابق تصوّرك، فلن يعُد جديدًا، وأنت تعيد طرح عناصر ضعفك. الفداء هو مائة ضعف قابلة للاختبار، ولكنّه مختلف دائمًا عمّا تتصوّره، دائمًا».[128]
إذا تصوّرتُ تغيّري، أعتقد، على سبيل المثال: «مع كلّ ما سمعته هذه الأيّام، عندما أعود إلى المنزل لن أستطيع أن أغضب بعد الآن»؛ ثمّ يحدث أن أغضب بعد عشرين دقيقة فقط، وهذا يكفي لوضع كلّ شيء عشته هنا موضع نقاش.
غير أنّ تغيّري يحدث مع مرور الوقت، وفق مقياس ليس من عندي. إنّه تغيّر حقيقيّ، حتى أنّ الآخرون يرونه. أمّا يصل إلى جميع محطّات الحياة – كما نرغب جميعًا – فهي مسألة وقت. ولكن أصل التغيّر موجود، وقد حدث، بل هو حقيقة، إنّه حضور حيّ، قابل للاختبار الآن. ونحن نأمل بأن ينتشر في كلّ حياتنا، بحيث يتأثّر كلّ

---

[125] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., p. 70.

[126] نفس المصدر والصفحة.

[127]« لقد خرج العالم من مفصلاته. كثير من الناس يعتقدون ذلك. فنحن نجول بلا هدف، مشوّشين، ونتجادل ضدّ هذا وضدّ ذلك. حول جملة واحدة تتوافق غالبيّة الناس، بعيدًا عن كلّ عدائيّة، وفي جميع القارّات: "لم أعد أفهم العالم"». (U. Beck, *La metamorfosi del mondo*, Laterza, Bari 2017, p. XIII).

[128] L. Giussani, *Qui e ora (1984-1985)*, op. cit., pp. 70-71.

ما نلمسه بتلك الجدّة التي وصلت إلى كلّ واحد منّا.
لقد انطلقنا، في بداية الدرس، من إثبات التغيّر وقلنا بعدّة طرق إنّه «"يجب علينا أن نبحث عمّا هو تحت، عن الجذر، عن سبب أنّ رفقتنا وصداقتنا قد أعطت النتائج التي أعطتها، النتائج الإنسانيّة". ومع ذلك فإنّه من خلال المشاركة في هذه العلامة، وملازمتنا لهذه العلامة سوف يتمّ باستمرار تذكيرنا بذلك الاعتراف وبتلك الذكرى أو الاعتراف الدائم، وهما اعتراف وذكرى لهذا الحضور الذي هو الجذر، الذي هو مصدر حقيقة أنّنا، نحن الغرباء، إخوة وأخوات، وحقيقة أنّنا، نحن الفقراء، نشعر وكأنّ ثروة تصبح بشكل غريب – غريب، لأنّها لم تكن وفق خططنا، وفق مشاريعنا – متّقدة فينا».[129]

أنهي بقراءة شهادة:
«عزيزي دون كارّون، في العام الماضي وعند عودتي من الرياضة اكتشفت أنني حامل. كنّا نرغب في أن يكون لدينا طفل ثان، ولكنّنا شعرنا بأنّنا محظوظان لولادة طفلتنا الأولى، فهي كانت قد ولدت بعد أن شكّك الأطباء بإمكانيّة أن يكون لنا أطفال بشكل طبيعيّ. ولكن في أيّار/مايو من العام الماضي كان الحمل الثاني. لقد كان واضحًا بالنسبة لنا ومنذ البداية أنّها كانت بادرة من "السرّ" تجاهنا، أذهلتنا وتأثّرنا بها. وقد حدث ذلك أيضًا في وقت معيّن، فقبل أكثر من شهر بقليل فقد زوجي وظيفته، ولذلك بدأنا بالتفكير بكيفيّة مواجهة مشكلة البطالة. وخلال الفحص الطبيّ الأوّل كان كلّ شيء "على ما يرام"، ووضعي الصحيّ سليم والجنين متموضع بشكل صحيح، وسمعنا أيضًا نبضات قلبه. بدا وكأنّ الأمور ستسير على خير ما يرام. ولكنّني لاحظت شيئا غير سليم، فذهبت مع زوجي إلى الطوارئ للقيام بفحوصات وعلمنا أنّ الحمل توقّف قبل بضعة أسابيع. وأجهضت تلقائيًا في المنزل في نفس اليوم. في الأيّام التالية مباشرة، حاول الكثيرون أن يعزّوني ببعض العبارات، وشعرت بكلّ عجزي في مواجهة ما كان يحدث، لحياتي وحياة طفلي. وأدركت أنّ نفس العجز، إذا كنت مخلصة، أختبرها مع ابنتي. فأنا لا أستطيع أن أضيف لها نفسًا مع أنّه يمكنني الاعتناء بها. ما الذي يملأ بالمعنى كلَّ لحظة؟ ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟ إنّه مجرّد حضور، حقيقيّ وملموس. ليست فكرة ما ولا استنتاج منطقيّ، بل حضور حدث، حقيقة، لا جدال فيها، لا يمكن أن ينكرها أو ينفيها أيّ ظرف سلبيّ. أنتَ وحدك، أيّها المسيح، من يثبت أمام وطأة الحياة. لولا هذه الرفقة، لكان المسيح قد ظلّ مجرّد اسم بالنسبة لي، ولما أصبح حضورًا أكيدًا؛ وخصوصًا هذا هو المكان الوحيد الذي يسمح لي بالحفاظ على الأسئلة نابضة بالحياة، ولا يُسكتها بجملة بروتوكوليّة، بل يبقيها في هذا العمق مثيرة للاهتمام حقا. في تجربة الإجهاض أصبح أكثر وضوحا بالنسبة لي ما يعنيه أنّ العلاقة بالسرّ هي شخصيّة. لقد ظهر ما يشبه العزلة في مواجهة ما حدث، لقد ظهر اليقين بأنّني لا أستطيع تفويض جوابي للمسيح إلى أحد، ولا حتى للرفقة. أنا أقف أمام السرّ وأنا وحدي في هذه العلاقة. ولكن كان ظهور هذه العزلة بالضبط ما أظهر لي قيمة هذه الرفقة في صلتي بالمسيح. ليس للأصدقاء واجب تعزيتي أو مؤازرتي، وليسوا هم بقادرين على إعادة ابني لي، وليست الرفقة هي ما يحلّ مشاكلي أو تطرد خوفي. لكنّني بحاجة إلى مكان كهذا يُبقيني أو يضعني في الموقف الصحيح، ولا يسمح لي بفقدان الأسئلة التي يثيرها الواقع. هذه القصّة، والوجوه، والعمل وإيماءات هذا المسير، تحمل العلاقة به وقد جعلته مألوفًا مع مرور الوقت. "لكنّ المرء لا يكفّ عن الخوف لمجرّد أنّ أحدهم قال له: 'لا تخف!' من الضروريّ أن يكون هذا الحضور – حضور الله – قد دخل أحشاء أناه ويجب أن يكون حضورًا أثبت صدقيّته داخل حدثٍ ما. وحده الحدث المُعاش يمكنه أن يشكّل أساسًا كافيًا للثقة. كلّ ما فعله الله وما يفعله هو 'لكي تعلم أنّي أنا الربّ' وأن تثق به" (هأَنَذَا صَانِعٌ أَمْرًا جَدِيدًا. أَلاَ تَعْرِفُونَهُ؟، رياضة الأخويّة 2018). هذه هي القصّة التي جعلت الله حضورًا ذا مصداقيّة أستطيع الوثوق به، يتحدّى الزمن ويثبت أمامه. مهما فعل الله».

دعونا نستمع، في النهاية، إلى ترتيلة *Cristo al morir tendea*، لأنّ الحوار مع هذا الحضور هو الذي يحدّد الحياة. في الاستماع إليها، نشعر وكأنّ السؤال موجّه إلى كلّ واحد منّا: «أترغبون في التخلّي عنه من أجل حبّ آخر؟».

[129] نفس المصدر، ص 71.

[130] *Cristo al morir tendea* ترتيلة

[130] «Cristo al morir tendea, / ed ai più cari suoi Maria dicea: / “Or, se per trarvi al ciel dà l’alma e ’l core, / lascieretelo voi per altro amore?”. // “Ben sa che fuggirete / di gran timor, e alfin vi nascondrete: / ed ei, pur come agnel che tace e more, / svenerassi per voi d’immenso amore”. // “Dunque, diletti miei, / se a dura croce, in man d’iniqui e rei, / dà per salvarvi il sangue, l’alma e ’l core, / lascieretelo voi per altro amore?”.»

(«كان المسيح سائرًا نحو الموت، وكانت أمّه مريم تقول للتلاميذ: "ولكن إذا كان هو، لكي يأتي بكم إلى السماء، يقدّم روحه وقلبه، أتريدون أن تتخلّوا عنه من أجل حبّ آخر؟" "هو يعرف جيّدًا أنّكم سوف تهربون، وقد استولى عليكم خوف عظيم، وأنّكم في النهاية سوف تذهبون للاختباء، ولكنّه، كالحمل الذي يموت في صمت، سوف يبذل دمه من أجلكم، بسبب حبّه العظيم". "لذا، يا أعزّائي، إذا كان هو، على الصليب، على يد رجال جائرين وأشرار، يهرق دمه وروحه وقلبه لخلاصكم، أترغبون في التخلّي عنه من أجل حبّ آخر؟"»)

(Fra Marc’Antonio da San Germano, «Cristo al morir tendea», in *Canti per la Settimana Santa*, Soc. Coop. Ed. Nuovo Mondo, Milano 2007, pp. 50-51).

الأحد 14 نيسان/أبريل صباحًا

عند الدخول والخروج:
فولفغنغ أماديوس موزارت، صوناتات على البيانو والكمان ك 304، 376، 378، 301
كلارا هسكل على البيانو وأرتور غروميوه على الكمان
"سبيريتو جنتيل" 46، فيليبس

السلام الملائكيّ
صلاة الصبح

الجمعيّة العامّة

دافيدي بروسبيري: هذا العام أيضًا وصل عدد هائل من الأسئلة، أكثر من ألف وثلاثمائة سؤال تشكّل، إلى جانب ألفي رسالة وردت عبر البريد العاديّ والإلكترونيّ ردّا على الدعوة التي يمثلها استحثاث كارّون، عددًا كبيرًا.
وهو مؤشّر، إلى جانب عوامل أخرى كثيرة، لحقيقة أنّ هذا اللقاء يمثّل بادرة تشاركيّة حقّا، لا نكتفي بالتفرّج عليه، بل يساهم كلّ منّا في تشكيله عبر حضوره. لا بل إنّنا، في الرياضة، نفهم جيّدًا ما هي البادرة – وهي كلمة مشتقّة من فعل gerere اللاتينيّ والذي يعني الحمل – أي حدث يحمل معنى. ونحن قد جئنا إلى هنا لاكتشاف هذا المعنى.
وهذا أمر ضروريّ لتربيتنا كبالغين، لأنّ البالغ – كلّما تقدّمنا أدركنا ذلك – يحتاج أكثر من أيّ وقت مضى إلى تربية، بقدر ما هو الأمر للشابّ أو ربّما أكثر، لاكتشاف نفسه، لاكتشاف وجهه الإنسانيّ. لذلك، وعلى هذا الأساس، تلزم هذه البادرة إنسانيّتنا تمامًا. وهذا ما انعكس كثيرًا في الأسئلة التي أرسلتموها، لأنّه، وبالإضافة إلى طلب فهم الكلمات التي قالها خوليان لنا في الأيّام الأخيرة، هناك أيضا محاولة ودّيّة للتحقق من الخبرة التي نقوم بها في حياتنا والصعوبات التي نُدعى لمواجهتها.
عددُنا هنا 22000 ونحن جزء من رفقة أكيدة. ولكن يجب أن أقول إنّ الصمت الذي استطعنا جميعًا أن نختبره والذي رافقنا في هذه الأيّام – وهو صمت مدهش، من وجهة نظر معيّنة، بالنسبة لعددنا الكبير، والذي على ما أذكر كان أعظم منه في أوقات أخرى – هو علامة على أنّ داخل هذه الرفقة الأكيدة كلّ واحد منّا هو هنا من أجل نفسه، للاعتراف بعزلة أو وحدة أساسيّة، وحدة جيّدة، أمام السرّ الإلهيّ.

وهذا ما يمهّد للسؤال الأوّل.
«بعد أن استمعت إلى الشهادة الأخيرة من درس بعد الظهر، ماذا يعني أن نكون وحدنا أمام السرّ، طالما نحن بحاجة إلى مكان؟ وكيف نعمّق العلاقة بالمسيح في حالة الوحدة، أي عندما لا تكون لديك إمكانيّة مخالطة الناس الذين هم بالنسبة إليك علامة غلبة المسيح؟ لا أفهم تمامًا ما إذا كان تعميق العلاقة بالسرّ هي مسألة مخالطة رفقة حيّة من الناس أم مسألة يتمّ التعامل معها على المستوى الشخصيّ».

خوليان كارّون. المسألة الأولى، في رأيي، هي فهم طبيعة الوحدة. عندما قرأت للمرّة الأولى، قبل سنوات عديدة في إسبانيا، "آثار الخبرة المسيحيّة"، أدهشتني على الفور الطريقة التي يتطرّق بها دون جوسّاني لمشكلة الوحدة: «كلما اكتشفنا احتياجاتنا، أدركنا أنّنا لا نستطيع حلّها بأنفسنا، ولا يمكن للآخرين حلّها، وهم بشر مثلنا [...] وهذا الشعور بالعجز هو الذي يولّد الوحدة». وبالتالي، وعلى عكس ما نعتقد في كثير من الأحيان، «ليست الوحدة الحقيقيّة أن نكون وحدنا جسديًا، بل من خلال اكتشاف أنّ الإجابة على مشكلتنا الأساسيّة لا يمكن أن تأتي منّا أو من الآخرين». وهذا ما تؤكّده الشهادة المذكورة أمس، إذ لا أحد يستطيع أن يعيد إلى تلك المرأة الطفل الذي فقدته ولذلك، «يمكننا أن نقول إنّ الشعور بالوحدة يولد في صميم كلّ التزام جادّ تجاه إنسانيّتنا. يمكن أن يفهم كلّ هذا مَن اعتقد أنّه وجد حلًا لحاجته الكبيرة في شيء ما أو في شخص ما، فيختفي هذا، ويذهب بعيدًا، أو يثبت عدم قدرته». وبالتالي، إذا وضعنا الأمل في هذا أو ذاك الشيء، في هذا أو ذاك الشخص، فسنشعر بخيبة أمل. «نحن وحيدون»، يتابع جوسّاني، «مع احتياجاتنا، مع حاجتنا إلى أن نكون وإلى أن نعيش بشكل مكثّف. كواحد، وحيد، في

الصحراء، الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو انتظار أن يأتي أحد. ولن يكون الإنسان من سيحلّها، لأنّ الاحتياجات البشريّة هي ما ينبغي حلّها».[131]
هذا الوعي وحده هو الذي يجعلنا في وضع يسمح لنا بفهم طبيعة وحدتنا. وإذا قلصناها إلى الوحدة الجسديّة، أمكننا حلّ المشكلة بطرق عديدة. ولكن إذا كانت الوحدة الحقيقيّة هي الناشئة من العجز أمام احتياجاتنا الأساسيّة، من حاجتنا إلى الوجود والاكتمال، والتي لا ندركها في الكثير من الأحيان، فإنّ السؤال هو حول ما هو قادر على التغلّب عليها، لأنّه لا يمكننا الإجابة عليه بأنفسنا ولا حتى مع حاجتنا العميقة للوجود.
كان الابن الضالّ يعتقد أنّه يعرف نفسه، وطبيعة حاجته، وهكذا فكر في حلّ المسألة عبر مغادرة المنزل مع نصيبه من الميراث. ولكن سرعان ما كشف ادعاؤه حلّ أموره بنفسه عن كذبته، ففي مرحلة ما يفهم أنّه يحتاج إلى شيء آخر، لا يمكن أن يعطيه بنفسه. فقط عندما نكتشف حقا من نكون، ومدى احتياجاتنا، ندرك ما هو قادر على الاستجابة لها. ولهذا السبب كنت دائمًا مندهشًا – وقد كرّرتها في عدّة مناسبات – عبارة تشيسترتون الشهيرة: «الشرّ ليس أنّ العلماء لا يرون الجواب، بل أنّهم لا يرون اللغز»،[132] أي أنّهم لا يفهمون المشكلة، فهم لا يفهمون ما الأمر. ومن هنا ينبع افتراضنا حلّ مشاكلنا بأنفسنا. ولكن عندما يدرك المرء أصل وحدته، وبالتالي عجزه، فإنّه يفهم أنّ من يمكنه أن يجيب على تلك المشكلة هو آخر، مختلف عنّا، أكبر منّا، آخر على مستوى حاجتنا الإنسانيّة. لهذا جاء المسيح! إنّه الوحيد الذي يستطيع التغلّب على عجزنا.
يبقى الجزء الثاني من السؤال معلقًا، وهو الجزء المتعلّق بالصلة بين ملازمة رفقة حيّة والعلاقة الشخصيّة بالسرّ. وفي هذا الصدد، من الضروريّ أن نلاحظ كيف هو وعي المسيح لنفسه، فهو يعتبر نفسه على علاقة بالآب، بوصفه «الذي أرسله الآب» («من يؤمن بي، لا يؤمن بي، بل بالآب الذي أرسلني»[133])؛ ومهمّته هي أن يعرّف الإنسان، أي كلّ واحد منا، إلى العلاقة النهائية بسرّ الله، بالآب، الذي يتلقى منه كلّ شيء اتساقه، والذي تعتمد عليه في هذه اللحظة حياتي. إذا حاول المسيح أن يجذبنا إلى نفسه، فهذا فقط ليعرّفنا إلى العلاقة بالآب («لقد جعلت اسمك معروفًا أمام البشر، أولئك الذين أعطيتهم لي في العالم»[134]). لكنّ هذا التحويل إلى آخر هو ما يعرّف أيضًا الكنيسة، أي أنّنا، الذين لمسنا المسيح عبر لقاء ونجد أنفسنا هنا: «كما أرسلني الآب، كذلك أرسللكم».[135] وهذا ما أكّده لنا دون جوسّاني في حياته. ففي مناسبة الاحتفال بجنازته، أكّد الكردينال راتسينغر قائلا: «بعد أن قاد الناس ليس لنفسه، ولكن للمسيح، كسب القلوب، وساعد على تحسين العالم، وشرّع أبواب العالم أمام السماء».[136] لم يعلّقنا جوسّاني بنفسه، بل قادنا إلى المسيح.
ما اقترحه دائمًا علينا دون جوسّاني، أجل، هو مكان، ملازمة مكان – الرفقة، الكنيسة – ولكن من أجل الغرض المحدّد له: لجعل المسيح قابل للاختبار، وتعريفنا إلى العلاقة الشخصيّة بالمسيح، وعن طريقه، إلى الاعتماد المعترف به على الآب. حتى الملحد، عندما يلتقي بأحدنا، يُحوّل من خلالنا إلى «مكان آخر»، كما ذكرت رسالة صديقتنا التي نقلناها أمس، أي إلى شيء آخر، أكبر منّا، وهو عمق ما يراه. إذا كنّا مدعوّين لملازمة مكان فذلك لكي نوضع في علاقة مع الذي يخلقه، والذي وحده يمكنه أن يستجيب لحاجتنا إلى الحياة. ولكن إذا لم «نرَ اللغز»، إذا لم يكن لدينا وعيٌ حيّ بحاجتنا، فلا يمكننا حتّى أن ننفتح على الاعتراف بالمسيح ولا نفهم الطبيعة الغريبة لرفقتنا. ولهذا السبب نُصاب في كثير من الأحيان بخيبة أمل.

بروسبيري. من بين المقاطع التي أثارت معظم الأسئلة هو المقطع الذي سردت فيه قصّة مجهول الاسم لمانزوني وطرحت علينا السؤال التالي: «من هو كردينالنا، كردينال كلّ فرد؟» وهذا ما طرح موضوع السلطة في حياتنا.

---

[131] L. Giussani, «Tracce d'esperienza cristiana», in Id., *Il cammino al vero è un'esperienza*, op. cit., pp. 85-86.
[132] G.K. Chesterton, *Ortodossia*, Edizioni Martello, Milano 1988, p. 49.
[133] راجع يوحنا 12، 24.
[134] راجع يوحنا 17، 6.
[135] يوحنا 20، 21.
[136] J. Ratzinger, «Omelia al funerale di don Giussani, Milano, 24 febbraio 2005», in A. Savorana, *Vita di don Giussani*, Rizzoli, Milano 2013, p. 1189.

سأصوغ السؤال على هذا النحو، من بين العديد من الأسئلة الواردة:
«هل يمكنك توضيح لماذا السلطة هي الطريقة التي يصلنا بها السرّ؟ ما هي ومن هي السلطة؟»

كارّون. عندما أتطرّق إلى هذا السؤال، يتبادر دائمًا إلى ذهني مقطع آخر من "آثار الخبرة المسيحيّة" حيث يعرّفنا دون جوسّاني بكيفيّة فهم طبيعة السلطة وبنشأتها. من هنا نحتاج إلى الانطلاق في كلّ مرّة.
فبعد أن أوضح معنى الوحدة، أي الشعور بالعجز، وبعد أن تناول موضوع الجماعة، ركّز على السلطة. وكيف وصفها؟ «في البيئة التي نعيش فيها [في الجماعة الذي نتواجد فيها، مدركين عجزنا] هناك في الواقع أناس لديهم حساسية أكبر لخبرة من الإنسانيّة، ويطوّرون في الواقع فهمًا أكبر للبيئة والناس، في الواقع، فيثيرون في الواقع بسهولة أكبر حركة مجتمعيّة. إنّهم يعيشون خبرتنا بشكل أكثف، وأكثر انخراطا؛ كلّ واحد منّا يشعر بأنّه ممثَّل بشكل أفضل فيهم، ومعهم يشعر عن طيب خاطر بأنّه أقرب للآخرين، في الجماعة. إنّ الاعتراف بهذه الظاهرة هو أمانة لنفسنا ولإنسانيّتنا؛ إنّه واجب من الحكمة. لكنّ اللقاء مع من يشعر ويفهم بشكل أكبر خبرتي، ومعاناتي، وحاجتي، وتوقّعاتي، يقودني بطبيعة الحال إلى متابعته، فأصبح تلميذه من أجل تلك الإنسانية التي، في اكتشافنا أنفسنا عاجزين ووحيدين، تحثّنا على أن نجتمع. وبهذا المعنى، يشكّل هؤلاء الناس بطبيعة الحال سلطة لنا، حتى وإن لم يُمنحوا حقوقًا أو ألقابًا».[137] فالمسألة ليست في المقام الأوّل مسألة أدوار، التي كثيرًا ما نحصر بها مسألة السلطة. المسألة هي الاعتراف بالناس الذين ييّسرون لي نموّ وعيش الخبرة الإنسانيّة بمزيد من الامتلاء، كما أرغب.
لهذا السبب «بالطبع تصبح السلطة قبل كلّ شيء من بأمانةٍ يفهم أكثر أو يعيش الخبرة الإنسانيّة. وهكذا تنشأ السلطة كثروةٍ من الخبرة التي تُفرض على الآخرين». يصبح الشخص سلطة بفضل دلالة ما يأتي به. «إنّه يثير جدّة ودهشة واحترامًا. هناك جاذبية حتميّة فيه». كما حدث مع يسوع: «لديه فعلا سلطان»[138] وليس كما للكتبة. هكذا تولد السلطة بشكل طبيعيّ، وهكذا سوف تنشأ دائمًا. لهذا السبب من السهل التعرّف عليها.
كلّ منّا مدعوّ إلى الولاء لما يراه يظهر في خبرته الخاصّة. من يؤازر الاقتراحات التي توفّرها له الخبرة لن يكون عنده مشكلة في تحديد السلطة، لن يكون لديه صعوبة في تحديد كردينالها، لأنّه سيكون واضحًا. هذا الأمر يتناسب مباشرة مع الوعي بطبيعة الحاجة، فكلّما كان المرء محتاجًا، ومدركًا لمدى حاجته، سهل عليه الاعتراف بالسلطة. والاعتراف بسلطةٍ يرتبط ارتباطا وثيقا بخبرة عجزنا. في الواقع، إذا لم يكن المرء مدّعيًا، إذا أدرك العجز الذي يعيشه، إذا اعترف بأنّه في حاجة، فإنّه يلتزم بسهولة أكبر بمن يشهد أمامه بشكل أكثر إقناعًا بوجود إجابة ويساعده على عيشها.
على العكس من ذلك، إذا اعتقدنا أنّنا قادرون على التصرّف بأنفسنا، فلن ندرك ذلك، حتى لو كان الجواب أمامنا، ومع كلّ الأدلة الممكنة والممكن تصوّرها. كما حدث لأولئك الذين تواجدوا أمام يسوع ولم يتعرّفوا عليه. لماذا؟ لأنّ يسوع جاء للفقراء، للمرضى، لأولئك الذين لديهم ولاء لجرحهم، مع عدم قدرتهم الهيكليّة على التصرّف بأنفسهم: بمجرّد أن رأوه، التزموا به ببساطة، من أجل حبّهم لأنفسهم وليس لأنّ عليهم الخضوع لبعض القوانين، لقد انضمّوا لأنّهم لم يريدوا أن يفقدوا الحياة في حياتهم.
لقد جعلنا دون جوسّاني نفهم الأمور في نشأتها: هكذا يصبح كلّ شيء أبسط بكثير. في الواقع، إذا ما نظرنا إلى كيفيّة حدوث الأمور في الخبرة أصبح كلّ شيء بسيطا.

خلال جمعيّة رياضة الأخويّة في إسبانيا، أثيرت مسألة مماثلة بشأن موضوع السلطة:

«إنّ خبرة المطابقة النابعة من اللقاء الذي حدث لي تربطني بالأصل، وبالواقع التاريخيّ للحركة وبمن يقودون هذا الواقع، لأنّ هذه العناصر متّحدة في الأصل. عندما كنت طالبًا، كانت هذه الوحدة موجودة في خبرتي. أدرك أنّ الطريقة الوحيدة لمواصلة خبرة المطابقة هي اتّباع المكان الذي حدث فيه المسيح لي. أدرك، في الواقع، بعد خمسة وعشرين عامًا من الحركة، أنّه عندما أنفصل عن خبرة المطابقة، عندما أنفصل عن حاجتي الحقيقيّة، عن إلحاح إنسانيتيّ، عن جروحي، عن احتياجاتي، تتحوّل الجماعة والسلطة إلى شيء لم يعد يشكّلني. أمّا في خبرة

[137] L. Giussani, «Tracce d’esperienza cristiana», in Id., *Il cammino al vero è un’esperienza*, op. cit., pp. 87-88.
[138] نفس المصدر، ص 88.

التطابق فإنّ الجماعة المحليّة والسلطة يشكّلانني. في بعض الأحيان عشت الحركة كما لو استطعت عيشها أم لا، والانضمام إليها أم لا، التوافق معها أو لا، بموقف مثل "يعجبني" أو "لا يعجبني" – في العالم المعاصر، وبما أنّنا جميعًا أبناء إينستاغرام، "يعجبني" أو "لا يعجبني" هو معيار الحكم –. مرّات عديدة أستطيع البقاء في الحركة واختبار بعض الشكوكيّة; حتى في اتّباعي الحركة، يمكنني أن أصبح متشكّكا. أدرك أنّ المشكلة تكمن في الحكم على المطابقة، في اتّباع المطابقة الحاصلة على حكم (المطابقة الأوليّة والحاليّة). وأرى هذا الأمر في العديد من بيئات الحركة، لدى الطلاب والبالغين: قد تكون هناك طريقة للحضور في الحركة شبه منفصلة عن هذا العامل الأصل حيث كلّ شيء متحّد. في خبرة اللقاء، تتّحد المطابقة والجماعة المحليّة والسلطة. أودّ لو تساعدنا في هذه المسألة».

كارّون. يبدو لي أنّ ما قلتَه يساعد على أن نفهم بشكل واضح نوع الخبرة التي يملكها كلّ واحد منّا. لأنّه من الجليّ أنّه عندما يكون أحد هذه العناصر مفقودًا، فإنّ نوع الخبرة يختلف تمامًا. في بعض الأحيان نحلّ المشكلة بطريقة مجرّدة وليس، كما أوضحتَ بشكل جيّد جدًا، انطلاقًا من وحدة الخبرة. لذلك نعتقد أنّ السلطة شيء مضاف من الخارج إلى خبرتنا. لماذا؟ لأنّه، كما ذكرتُ، ليست كلّ خبرات المسيحيّة هي نفسها. في كتاب "لماذا الكنيسة"،[139] يصف دون جوسّاني ثلاثة مواقف في مواجهة الحدث المسيحيّ، ثلاث طرق للوصول اليوم إلى اليقين عن حدث المسيح، تنشأ عنها تبعات مختلفة: الأسلوب العقلانيّ، الأسلوب البروتستانتيّ و الأسلوب الأرثوذكسيّ الكاثوليكيّ. الأسلوب الأوّل يعتبر يسوع مجرّد حدث من الماضي، مثله مثل احداث أخرى، تنطبق عليها مقولات "العقل التاريخيّ". فهو يقلّل من مضمون الرسالة المسيحيّة – الله أصبح وجودا في التاريخ – حتى قبل أن ينظر فيها. ويعترف الأسلوب الثاني بمضمون البشارة العظيمة، ولكنّه يقصره على لحظة معيّنة، فقد جعل الله نفسه حاضرًا في الإنسانيّة في نقطة واحدة فقط، هي المسيح. كيف يمكن لإنسان اليوم أن يصل إلى اليقين حول هذا الحضور؟ من خلال خبرة داخليّة حصرًا، من خلال تنوير للروح. وهو موقف، وإن كان دينيًّا عميقًا، لا يحترم جميع معطيات البشرى المسيحيّة. أمّا الأسلوب الثالث، فلا يزال متّسقًا مع هيكل الحدث المسيحيّ كما طرح نفسه في الأصل: فقد أصبح الله في المسيح حضورًا بشريًّا لا يتجزأ ويبقى كذلك في التاريخ من خلال واقع الكنيسة، وهي شركة المؤمنين به. واللقاء بحضوره اليوم – وهو لقاء يلتقي فيه معًا الجانب الخارجيّ والداخليّ، الموضوعيّ والذاتيّ – هو الأسلوب للوصول إلى اليقين عنه.

والأسلوبان الأوّلان، مع أنّهما يتضمّنان عناصر من الحقيقة، يؤدّيان إلى خبرة مختلفة تمامًا عن تلك التي يولّدها الأسلوب الثالث. إنّ خبرة شخص لا يعتبر المسيحيّة حدثًا حاضرًا ويفتقر إلى النقطة المرجعيّة الموضوعية التي تعطيها السلطة (البروتستانتيّة) هي مختلفة عن خبرة الكاثوليكيّ. ولكن علينا أن نكتشف هذا الاختلاف في خبرتنا الشخصيّة للجماعة، أي لواقع موجَّه: وإلا فسوف تبدو لنا السلطة دائمًا شيئا غريبًا على إيماننا، وبالتالي ستكون المسيحيّة تحت رحمة مذهب ذاتيّ آخر، أي اعتباطيّة تفسيرنا. قبل شهر، طلبت مني فتاة توضيح معنى سلطة البابا. فقلت لها: «ولكن إذا تحدثتِ عشر دقائق مع شخص ما، يمكنك أن تفهمي ممّا يقوله لك عن الكنيسة ما إذا كانت سلطة البابا موجودة في خبرته، ولا تحتاجين إلى الذهاب والتحدّث إلى البابا لمعرفة ما إذا كان ما يقوله الشخص عن الكنيسة يتطابق مع فكر البابويّة». عشر دقائق كافية لفهم ما إذا كان الشخص لديه في نفسه صلة بسلطة البابا. يكفي أن يفتح فمه لندرك ما إذا كانت في خبرته علاقة مع السلطة، أو ما إذا كانت السلطة أمرًا خارجيًا، أضيف من الخارج إلى خبرته. ويحدث الشيء نفسه في حياة الحركة. كما يقول جوسّاني في الفصل الأوّل من "آثار الخبرة المسيحيّة"،[140] فإنّ السلطة هي عنصر أساسيّ في الخبرة الإنسانيّة.[141] ولكن كيف يمكن للمرء أن يعرف ما إذا كانت كذلك بالنسبة إليه؟ من نوع الخبرة التي يقوم بها. لأنّ نوع الخبرة التي نقوم بها مطبوعة على وجوهنا. «من ثمارها تعرفونها»،[142] أي من خبرة المطابقة التي يعيشها المرء، نفهم الحقيقة حول منبعه الأصليّ. إنّها طريقة مضمونة تمامًا، لأنّ شجرة معيّنة تنتج فاكهة معيّنة لا تنتجها شجرة مختلفة. في

---

[139] Cfr. L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., pp. 13-34.

[140] Cfr. L. Giussani, «*Tracce d'esperienza cristiana*», in Id ,.*Il cammino al vero è un'esperienza*, op. cit., pp. 87-88.

[141] ينطبق الشيء نفسه على الخبرة المسيحيّة: «لا توجد نسخة من الخبرة المسيحيّة [...] لا تنطوي على الأقل في نهاية المطاف [...] على هذا الرجوع للسلطة» .(L. Giussani, *Il rischio educativo*, op. cit., p. 130). راجع ههنا ص 15-16.

[142] متى 12، 33.

أسلوب حياتي أقدّم شهادة حول نوع الخبرة التي أقوم بها في الجماعة المسيحيّة. يلاحظ دون جوسّاني أنّه لا توجد جماعة مسيحيّة دون إشارة إلى السلطة، ولا يوجد كريزما كاثوليكيّ ليست له صلة مع السلطة: إنّها ليست مجرّد مسألة لاهوتيّة، بل أمر يذهب إلى جذور خبرتنا المسيحيّة; لهذا السبب كلّ واحد منا، في طريقة حياته، يصدح أمام الجميع بسمفونيّته الخاصّة.

بروسبيري. هناك سؤالان مرتبطان ببعضهما.
«ماذا يعني أنّ الخبرة تستدعي فهم معنى الأشياء وأنّ الواقع لا يُفهم تمامًا إذا لم يتمّ تأكيد معناه؟»
«لقد قلتّ إنّه قد تقع معنا أحداث مذهلة ولكنّنا لا نتعلّم منها أيّ شيء، وأنّه يجب، لكي نفهم مدى ما يحدث في الحياة، مؤازرة إعلاء "القدرة المعرفيّة للوعي" التي يولّدها الحدث نفسه. هل يمكنك الذهاب الى أبعد من ذلك؟»

كارّون. نواصل ربط جميع الأسئلة ببعضها.
كيف يمكنني أن أدرك أنّ حضورًا معيّنًا هو حاسم بالنسبة لحياتي؟ هذا يحدث لأنّه يتوافق مع احتياجات إنسانيّتي أكثر من أيّ شيء آخر. لكنّ هذا يستدعي مقارنة ما بين الواقع واحتياجاتي، وبالتالي حكمًا من جانب عقلي: «أرى هنا ما يتوافق أخيرًا مع ما أبحث عنه». لكي تكون لنا خبرة عن شيء لا يكفي أن اصطدم به، أن أثير ردّة فعل، بل من الضروريّ أن أفهم أهمّيّته، ومعناه، وصلته بي. لا تنحصر الخبرة في ردّة الفعل العاطفيّة للأشياء، بل تستدعي اكتشاف معناها، وإلا فإنّني سأفقدها عاجلًا أم آجلًا على الطريق. ولذلك، من الضروريّ أن أفهم أهمّيّة الحضور الذي التقيته، وأن أفهم الصلة بين ذلك الحضور وحاجتي، وأن أدرك أنّني أنمو في العلاقة به.
هذا هو القيام بخبرة. إذا لم أدرك الصلة بين ما يحدث لي وبين احتياجاتي، فإنّ الأشياء التي تحدث – مهما كانت مذهلة، مثل الوقائع التي كثيرًا ما نتحدّث عنها – تكون مثل الشظايا الطائشة، لأنّنا لا نتعرّف إليها في صلتها باحتياجاتنا. لذلك، عند عدم إدراكنا معنى اللقاء، بعد فترة من الوقت نغادر.
لقد بدأ جوسّاني لوحده من أجل «إظهار صلة الإيمان باحتياجات الحياة»،[143] أي حتى نتمكّن من فهم – فهم! – صلة حدث المسيح، وما يقترحه المسيح علينا، وما تقترحه الحركة علنيا، برغبتنا الإنسانيّة. وإلا أصبح كلّ شيء أخلاقيًّا، يصبح شيئًا "من واجبي" أن أفعله، فلا أعود ألتزم بما يُقترح عليّ لأنّني بحاجة إلى القيام بذلك، لأنّني أدرك أنّه ذو صلة باحتياجاتي، لأنّه قد حدث لي أعظم شيء يمكن أن يحدث. إذا لم أكن ممتنًا لأنّه حدث لي، تصبح المسيحية تعقيدًا هائلا، وعبئًا لا يطاق! على العكس من ذلك، كلّما فهم المرء أهمّيتها، كلّما التصق، وكلّما تمسّك – تحدّث جوسّاني عن «حفنات من الغراء» حول علاقة التلاميذ بيسوع – كنتُ أكثر امتنانًا: "من حسن حظّي أنّك هنا، أيّها المسيح. من حسن حظّي، وإلا لكنت وحيدًا مع عدمي».
يدهشني أنّنا لا نولي، في كثير من الأحيان، اهتمامًا بالأمور الاستثنائيّة التي نراها تحدث بيننا (والتي توثّقها الرسائل التي ذكرتُها). وكما قرأنا في مدرسة الجماعة، يمكننا أن نمرّ أمام القداسة، أمام الثمار الكثيرة التي تولّدها ملازمة حياة الكنيسة من دون أن نراها، وبالتالي من دون أن نفهم أهمّيّتها.

أمّا عندما يلتقي المرء ، وهنا نأتي إلى السؤال الثاني، بشيء يدركه، بخلاف أيّ كلّ شيء آخر، كشيء حاسم حقا له، كمليء بوعد للحياة، فماذا يحدث؟ أنّ الحدث يثير دهشة كبيرة لدرجة أنّها تشرّع قدرته على الرؤية، وعلى الفهم. لهذا السبب يقول جوسّاني إنّ «الإيماءة نفسها التي يجعل الله من خلالها نفسَه حاضرًا للإنسان»، آتيًا ليجيب على عجزنا، يوّسع، «يُعلي أيضًا من القدرة المعرفيّة للوعي، ويكيّف فطنة النظرة إلى الواقع الاستثنائيّ»[144] الذي يضعه أمامه. كما هو الحال عندما يقع رجل في الحبّ، ويلتقي الحضور الذي يجذبه إليه ويجعله هو نفسه بشكل أكبر: هذا الحدث يشرّع بصره، وقدرته على معرفة كلّ شيء، وقبل كلّ من هو أمامه، وقيمة هذا الشخص بالنسبة له. ونحن جميعًا نعرف كم هو حاسم هذا الأمر: إذا لم نفهم أهمّيّة الشخص الذي نرتبط به لحياتنا، فسيكون وكأنّه غير موجود حتى لو كان دائمًا أمام أنفنا.
إذا كان هذا مل يحدث في علاقة عاطفيّة، تخيّلوا في أيّ عمق يمكنه أن يحدث في خبرة اللقاء مع المسيح، الذي لا يمثّل الوقوع في حبّه سوى انعكاسًا شاحبًا. ماذا حدث ويحدث؟ لقد سمعناه في الشهادات: «نسيت الكثير، ولكن لم أنسَ تلك العيون التي نظرت إليّ»؛ منذ تلك اللحظة لم تعد تلك الفتاة ترى نفسها كما كانت من قبل، لقد تغيّرت

[143] L. Giussani, *Il rischio educativo,* op. cit., p. 20.

[144] نفس المصدر، ص 130-131.

طريقتها في إدراك الأشياء. في اللقاء مع المسيح، ومن خلال الحالة البشريّة التي يستخدمها لامتلاكنا، هناك بيّنة تجّرنا، تلتصق بنا وتوسّع عقلنا، وتفتح لنا إمكانيّة فهم وإدراك ما حدث لنا، ليس بفضل إرغام، كما هو الحال عندما نستخدم أداةً لانتعال حذاء ضيّق، ولا حتى بفضل استنتاج منطقيّ، لم يعد يُقنع أحدًا: من الضروريّ فقط مؤازرة عمل حضوره فينا. «يحدث الاعتراف بحضور المسيح لأنّ المسيح "يغلب" الفرد، يغلبني، بمبادرته، ونعمته، فيصل إليّ من خلال لقاء إنسانيّ لا مثيل له. لذلك، يلخّص جوسّاني قائلا: «كما أنّ المسيح يعطي نفسه لي في حدث حاضر، كذلك يحيي فيّ القدرة على فهمه والاعتراف به في استثنائيّته. وهكذا تقبل حرّيّتي هذا الحدث، وتقبل الاعتراف به»».[145]

بروسبيري. «في استشهادك براتسينغر، قلتَ إنّ "إمكانية 'رؤية' الله تعتمد على تنقية القلب"، على فقر الروح. ما هي هذه التنقية؟ وقلت أيضًا إنّ من الضروريّ أن نصبح واعين للصلة ما بين المعرفة والفقر، وإنّ الأخلاقيّة الوحيدة هي فقر روح الاعتراف. هل يمكنك العودة إلى الصلة ما بين الفقر والمعرفة؟»

كارّون. يلاحظ راتسينغر أنّ آباء الكنيسة يبرزون الصلة ما بين المعرفة والفقر، وأنّ هذا هو ما يقوله الإنجيل: «طوبى للفقراء في الروح، لأنّ لهم ملكوت السماوات. [...] طوبى لأنقياء القلوب، فإنّهم يعاينون الله».[146] لا يضع الإنجيل أيّ شرط آخر – للتعرّف إلى الله والاعتراف به – إلا هذا الفقر. لهذا أصررت على العجز. لقد صُنعنا من أجل مصير شاسع كهذا («لقد صنعتنا لك، يا الله»،[147] يقول أغسطينوس) لدرجة أنّنا لا نستطيع بلوغه بقوانا الذاتيّة؛ لا يمكننا أن نجيب بأنفسنا على حاجتنا للامتلاء التي تشكّلنا. لهذا جاء المسيح. لقد جاء لأنّنا بدونه لا يمكننا أن نفعل شيئًا، وأكرّر لا شيء، لنجيب على عطشنا للسعادة، وللمصير. من غير المجدي أن نغضب من الواقع – من الزوجة والزوج والعمل والظروف – إذ لا شيء يمكنه أن يجيب بشكل كافٍ على حاجتنا إلى السعادة: «كلّ شيء قليل وصغير أمام قدرة نفسنا»،[148] قال ليوباردي. لهذا السبب من غير المجدي أن نغضب من الحياة. الشيء الوحيد الذي يمكننا القيام به هو انتظار حدوث من يجلب معه الجواب. إلى جانب الاعتراف بعجزنا الهيكليّ وووعينا بأنّ الجواب لا يمكن أن يأتي إلا من آخر، من الضروريّ أن نتحلّى ببساطة القلب في الاعتراف به واستجابته. «من لا يقبل ملكوت الله مثل صبيّ فلا يدخله»،[149] سيخسره.

لذلك، فإنّ الشيء الوحيد الذي يجب القيام به تجاه هبة حضوره التي لا مثيل لها هو أن نقبله. كلّما عرفنا المسيح، وأدركنا ما يمثّله من هبة لنا، أدركنا أنّ نشاطنا الأوّل والأصليّ أمامه – أمام الكائن الإلهيّ الذي أصبح رفقة في التاريخ – هو الهُمود:[150] أن نستقبل وندرك ببساطة قلب من يأتي ولا يزال يأتي لخلاصنا. في كثير من الأحيان أقابل أشخاصًا يعيشون الحركة ببساطة فائقة، تتركني عاجزًا عن الكلام. كم أرغب في أن يراهم الجميع. لأنّ الحياة ليست مسألة ذكاء، بل مسألة فقر، وبساطة قلب، تسمح لنا أن ندرك ما حدث لنا. يجب أن نصبح كالأطفال أكثر فأكثر. أن تكون طفلًا ليس طفوليّة، كما نتخيّل في الكثير من الأحيان. في الطفل الصغير لا يزال كلّ شيء عفويّا، ولكن لم تتمّ بعد السيطرة عليه كوعي. أن تكون طفلًا عند البلوغ هي المسألة الكبرى! بالنسبة لنا من السذاجة تقريبًا، بل هو أشبه بالتناقض، أن نكون أطفالا عندما نكبر. على العكس من ذلك، هذه هي الحكمة الحقيقيّة، الحكمة الوحيدة التي يشير إليها الإنجيل، والحكمة التي يجب أن تكون لدينا إذا كنّا لا نريد أن نفقد الأفضل.

في حياته الأرضيّة شهد يسوع أمامنا كيف يمكن للكبار أن يبقوا أطفالا: «إنّي أفعل دائمًا ما يرضي الآب».[151] هذا ما شهد به لنا جوسّاني أيضًا حتّى وفاته: كان يندهش من كلّ شيء، وأيّ شيء كان يثير حماسه، فتتلألأ عيناه مثل الطفل. بدون بساطة القلب هذه نضيّع حياتنا. دعوتنا هي امتلاك ما فعله من أجلنا السرّ، لكنّ ما يريد أن

---

[145] L. Giussani - S. Alberto - J. Prades, *Generare tracce nella storia del mondo*, op. cit., pp. 30-31.

[146] متى 5، 3-8.

[147] القديس أغسطينوس، الاعترافات، الجزء الأوّل، 1، 1.

[148] G. Leopardi, «Pensieri», LXVIII, in Id., *Poesie e prose*, vol. II, Mondadori, Milano 1980, p. 321.

[149] متى 10، 15.

[150] راجع جوسّاني، الحسّ الدينيّ، مرجع مذكور.

[151] راجع يوحنا 8، 29.

يعطيه لنا، هبة حضوره، غير متناسب البتّة مع قدراتنا، مع قوانا، بحيث لا يمكننا إلا أن نكون مستعدّين – كالأطفال – لاستقباله، للتعرّف عليه واحتضانه. وعندها يصبح كلّ شيء بسيطًا.

بروسبيري. ما قلتَه للتوّ عن الطفل عن الحكمة والحكمة ينطبق أيضًا على البعد العاطفيّ، ففي علاقته بأبيه وأمّه، عندما تكون هذه العلاقة واضحة، يملك الطفل يقينًا يفشل البالغ في الكثير من الأحيان في الحصول عليه في علاقته بالواقع. فالبالغ يميل إلى حصر خبرته بالجوانب النفسيّة، أي بكيفيّه شعوره بالأشياء انطلاقًا من نفسه. في نقطة ما، ذكرت مقطعًا حول التغيّر، وهذا هو السؤال.
«هل يمكنك التعمّق في ما يعنيه أنّ المشكلة هي تخطّي صورة نفسيّة للتغيّر ومحاولتنا قياسه؟»
سؤال آخر يضيف خطوة.
«لقد قلتَ إنّ الأمانة تنتج التغيّر، لكنّك قلت إنّه لا ينبغي أن نُعزيها إلى أمر أخلاقيّ، إلى مشكلة قدرة؛ لكنّها تفترض وجودي وتحرّكي وحرّيّتي. كيف لا تصطدم هذه الأمانة بتحرّكي، وينتهي بها الأمر كجهد أخلاقيّ؟»

كارّون. دعونا نبدأ بالسؤال الثاني وبالمثال الأبسط، أي الوقوع في الحبّ. الوقوع في الحبّ لا يمكن أن يكون نتيجة جهد أخلاقيّ (وإلا، إذا كان كافيًا أن تريد ذلك، فسيتكوّن طابور من جميع أولئك الذين يبحثون عن شخص يستجيب لرغبتهم في أن يكونوا موضع حبّ)، وليس شيئا يمكننا نحن أن نولّده. ولكن عندما يحدث يجب أن نقبله، يجب أن تشارك فيه الحرّيّة. الأمانة هي مشاركة حرّيّتنا مع حدث وقع، لا ننتجه نحن، تثيرها وتدعمها باستمرار إعادة تكرار ذلك الحدث نفسه، أي معاصرة المسيح، كما قلت في درس بعد ظهر الأمس.
بالانتقال إلى السؤال الأول، وهو في اتصال وثيق جدًا مع ما ذكرته للتوّ، أكّدت من جديد أمس أنّ التغيّر لا يمكن اختزاله بصورته النفسية، أي بشيء أستطيع قياسه بنفسي: كان مزاجي ساخطا ولا يزال، ظننت أنّني سأعود إلى المنزل بعد هذه الأيام وقد تغيّرت ولكنّني أغضب كما كان الحال من قبل، بسبب مزاجي العصبيّ، لذا أعتقد أنّه لم يبقَ شيء ممّا عشته. صورة التغيّر هذه هي التي تحدّنا. نحن نميل دائمًا إلى تحديده بتعزيز لقدراتنا، بأداء أرفع، وهو ما يحاول الكثيرون تحقيقه من خلال التدريب.
لا، ليس هذا التغيّر الذي نتحدّث عنه والذي نحتاجه. التغيّر الحقيقيّ هو الاعتراف بمن يجيب على عجزنا. كما أنّ ليس بمقدوري توليد هذا الجواب، كذلك ليس بمقدوري توليد تغيّري. الأمر ببساطة، كما سبق وقلت، هو أن نكون مستعدّين للمبادرة التي اتخذها المسيح نحو حياتي. هذا هو التغيّر الحقيقيّ: أن نعيش كلّ شيء وهذا الحضور في عينيّ، مع الوعي برفقته الأمينة: «ما لي من الحياة في الجسد أنا حيّ به في الإيمان بابن الله الذي أحبّني وبذل نفسه لأجلي».[152] التغيّر هو الانتقال من الغرور والادّعاء إلى الاعتراف بحضوره.
وهكذا يدخل حياتنا شيء مختلف وجديد يلاحظه الآخرون أيضًا، لكنّه لا يتوافق مع تصوّراتنا، وليس عبارة عن عصمة وتنزّه عن الخطأ، وتفوّق من عندنا، أو نتيجة لقدراتنا، بل عن صدى يتردّد فينا للاعتراف بمن يجيب على عجزنا، لليقين من حضوره، يدخل ببطء أحشائنا. إنّه شعاع من الفرح، والخصوبة، والإيجابيّة، يدخل ببطء إلى كلّ ما نقوم به، ولو بقينا على هشاشتنا.
هذا ما قاله دون جوسّاني بوضوح تامّ: التغيّر هو الاعتراف بذلك الحضور الحيّ الذي يأتي لملاقاتنا، وليس شيئًا أقيسه أنا. وكلّ شيء آخر يأتي من هنا. قد يحدث أيضًا ما تريد أن يحدث – على سبيل المثال، أن يتغيّر مزاجك السيّء – لكنّ هذا ليس ضروريّا. وعلى أيّ حال فإنّه سيحدث دائمًا وفق وقت وتصميم ليسا من عندك. وهذا على وجه التحديد غالبا ما يثير حمقنا، بسبب نفاد صبرنا، فنحن نودّ أن نتغيّر بالطريقة والأوقات التي نحدّدها نحن، بدلا من أن نكون ممتنّين ببساطة لحضوره. هو من يحرّرنا من قياسنا. كما يحدث للطفل: هناك الأب، وهناك الأمّ، وليست هناك حاجة للقياس. سوف يأتي التغيّر، ولكن وفقا لتصميم ليس من عندي.

بروسبيري. السؤال التالي شخصي، وقد اخترناه لأنّه يتعلّق بنا جميعًا، بطريقة أو بأخرى.
«أعيش في عائلتي نفس المأساة التي عاشها الوالد في مثل الابن الضالّ. كيف ترك ذلك الأب ابنه يذهب ولم يستسلم لإغراء الذهاب واسترداده من بين البغايا وإعادته إلى المنزل؟ من أين أتى بالقوّة ليعطي ابنه حقًّا الحرّيّة في عدم العودة وبالتالي، ربّما، بعدم رؤيته من جديد؟ ليس موقف الابن ما يهمّني الآن، بل موقف الأب. كيف

[152] راجع غلاطية 2، 20.

انتظر بحرّيّة حتى يعود ابنه، دون غضب؟ وإلا لما أقام تلك الحفلة عندما عاد. ممَّ عاش خلال انتظاره؟ يبدو لي أنّني لا أستطيع العيش في مثل هذا الفراغ الكبير».

كارّون. هذه هي مشكلتنا: نحن لسنا بقادرين ولهذا لن نتصرّف أبدًا مثل والد الابن الضالّ. ولماذا يتصرّف الله هكذا؟ السبب متجذّر في كمال الحياة الإلهيّة، أي في كمال علاقة الحبّ الحرّ والمتبادل ما بين الآب والابن والروح القدس. فمن أجل أن يشارك بهذا الكمال الوفير خلق الله الكائن البشريّ، على صورته ومثاله، أي حرًّا، ليعكس أصلا سرّ الكائن الواحد والثالوث في هذه الحرّيّة بالتحديد. والله يتركه حرًّا لأنّه يحبّه بلا حدود، كما يمكن لله وحده أن يحبّه. ولذلك فإنّ مثل الابن الضالّ يعبّر عن الطبيعة الحقيقيّة لله، فالأب يحبّ ابنه لدرجة أنّه يتركه حرًّا، وهو يعلم أنّه من دون حرّيّة لن يكون إلا عبدًا في بيته.
لقد صاغ دون جوسّاني عبارات مدهشة حقًّا، ربّما ينبغي أن نقرأها، وهي مفيدة للذين من بينكم يشعرون بالقلق إزاء حرّيّة أبنائهم: «قد تكون أعظم تضحية بالنسبة للآباء والأمّهات، بعد رؤية أحد أبنائهم يموت، هي أن يروا ابنًا لهم، ربّوه بكلّ حبّ، وأعطوه كلّ ما يمكنهم إعطاؤه، يتّخذ قرارات وطرق أو يصدر أحكامًا تختلف عن تلك التي يعتبرونها صحيحة. إنّه أفظع شيء نشعر به إزاء أولادنا في المدرسة. ولكن بالنسبة للأب والأمّ الأمر أكثر وضوحًا بمائة ألف مرّة». مهما يكن، قد يكمن في هذا الموقف إغواء يريد دون جوسّاني فضحه: «السلطة على النفوس: امتلاكهم من أجلهم; انتزاع حرّيّتهم لضمان سعادتهم»، من أجل الابن دائمًا، بالطبع! مختلف تمامًا هو المنظور المسيحيّ: «لقد مات المسيح ليترك الحرّيّة فينا!» ويتابع جوسّاني قائلًا: «كلّما رغبنا بقوّة في حرّيّة تلاميذنا [أو أبنائنا]، أي أن يصلوا إلى مصيرهم، [...] تعمّق بشكل أكثر إيلامًا وعجبًا الاحترام لقرارهم، والاحترام لتصرّفهم. لا يمكن أن تكون هناك سعادة بالنسبة لهم لم يختاروها، ومصيرًا لم يعترفوا به أو يقبلوه».[153]

ولهذا السبب، لا تلعب الحرّيّة دورًا حاسمًا في السير إلى المصير فحسب، بل أيضًا في اكتشافه. ويختتم جوسّاني قائلا «بالطبع، [...] نحن نفضّل أن نمسكهم من رقبتهم ونقودهم إلى حيث يجب أن يذهبوا. نفضّل أن نعارض حرّيّتهم، بمعنى حرّيّة الاختيار»، بدافع القلق الذي يجتاحنا. ما الذي يمكنه أن يهدّئه؟ الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يهدّئه «ويعطينا السلام، هو أنّ هناك أحدٌ [بحروف كبيرة]، آخر [بحروف كبيرة]، أرادهم، وعقد عهدًا معهم، مانحًا إيّاهم الوجود».[154]
أمام أموركم العائليّة هذه أفكّر دائمًا في رعشة الله. إذا كنتم قلقين بهذا الشكل حول مصير أبنائكم، فتخيّلوا الله، القادر على القيام بأشياء كثيرة لا نحلم بها ولا يفعل. يا للرعشة! لأنّه يستطيع الانتظار، ما الذي يدعمه؟ الكمال فقط الذي يعيشه. لذلك، فإنّ الطريقة الوحيدة للردّ حقًّا على هذا القلق يسمّى "العذريّة"، أي علاقة قويّة جدًّا مع السرّ تجعلني حرًّا في ترك الحرّيّة لابني. وليس لأنّني لا أرغب بكلّ الخير لابني، بل لأنّني أريده أن يبلغ خيره من خلال الحرّيّة. يجب أن يكون لي مثل هذا السلام، مثل هذا الاتساق واليقين بأنّ هناك أحدٌ يحبّه، وبذل حياته لأجله، وعقد عهدًا معه، لكي أنتظره كما ينتظره الله. يا للعلاقة التي عليكم وعلينا إرساؤها مع المسيح لكي نتمكّن من تربية أبنائنا وشبابنا دون الاستسلام لإغراء حلولنا محلّ حرّيّتهم!
وهذا لا يعني أنّنا لا نستطيع القيام بأيّ شيء. فالله قام بشيء. لقد أرسل ابنه ليبذل حياته لأجلنا، ليجعل خبرة الكمال هذه ممكنة. لم يرسل المسيح لينتزع حرّيّتنا. لقد انتظر المسيح، كما قلنا أمس، أن يعترف به الإنسان.
وماذا يمكننا نحن أن نفعل؟ ما يحتاجه الأبناء أكثر من غيره: أن نحيا أمامهم، بدلًا من مجرّد أم نقول لهم ما عليهم القيام به. فلنحيَ أمامهم! ولنضع أمامهم هذا الانجذاب كي يستحثّهم الجمال الذي يرونه يهتزّ فينا، بحيث يمكنهم أن ينضمّوا بحرّيّة، وليس بأداة انتعال الأحذية. نحن نهتمّ في الكثير من الأحيان بانضمامهم، ولكن ليس بحرّيّتهم.
أأنتم قلقون على أطفالكم؟ عيشوا كبالغين، مقدّمين لهم شهادة عن كلّ جاذبيّة حياتكم. هذا هو الشيء الوحيد الذي قام به الله: لقد أرسل ابنه ليقدّم للجميع جاذبيّة قويّة لدرجة أنّها تمتلكنا له. وبدون ذلك، فإنّنا لا ننشئ سوى أماكن يختنق فيها أبناؤنا، بدلا من أماكن يتنفّسون فيها، مع الرغبة في الانخراط والمشاركة.

---

[153] L. Giussani, *Realtà e giovinezza. La sfida*, Bur, Milano 2019, p. 229.

[154] نفس المصدر، ص 230.

خلال جمعيّة رياضة الأخويّة في إسبانيا، أثيرت مسألة مماثلة بشأن دور الحرّيّة في ظاهرة المعرفة.

«لقد قلت هذا الصباح إنّ الحرّيّة ليست فقط الذهاب إلى الله بعد أن نكتشفه، بل تلعب دورًا في نفس اكتشاف الله. أنا لا أفهم، إذ يبدو لي أنّ اكتشاف الله هو شيء فوريّ: عندما يحدث تكتشفه. ماذا يعني، إذن، أنّ الحرّيّة تلعب دورًا في نفس اكتشاف الله؟»

كارّون. هذه هي المشكلة. نحن لا نفهم أنّ العقل والحرّيّة يدخلان باستمرار في المعرفة. في "الحسّ الدينيّ" يحدّد دون جوسّاني ثلاثة مقدّمات، تنطوي على ثلاثة عناصر: لكي نعرف، يقول، هناك حاجة إلى الواقعيّة (الواقع له الأسبقيّة، فهو الشيء الذي يحدّد طريقة المعرفة)، والعقلانيّة (هناك حاجة إلى استخدام مناسب للعقل من قبل الفرد العارف) والأخلاق (وهنا يظهر عنصر الحرّيّة، ففي الموقف الذي يتبنّاه الفرد، تكون الحرّيّة بالضرورة على المحكّ).[155] ويقدّم مثالا يمكنه أن يساعدنا على فهم مسألتنا. فعندما اكتشف باستور دور الكائنات الحيّة الدقيقة في الطبّ، كان ينبغي على جميع العلماء الاعتراف بقيمة ما كان قد رآه تحت المجهر – إذ كان من الواضح أنّه قد وضع يده على شيء مهمّ وجديد –; ولكن، على العكس من ذلك، كان أبرز علماء تلك الحقبة من أشدّ المعارضين لهذا الاكتشاف. لماذا؟ لأنّ الواقع والعقل لم يكونا وحدهما على المحكّ، بل حرّيّتهم أيضًا: لقد شعروا بتهديد لهيبتهم من جانب ذلك الاكتشاف.
وتلعب الحرّيّة دورًا حاسما في المعرفة. كان الجميع يعلم أن "الأعمى منذ ولادته" أعمى. رغم ذلك، حاول البعض بعد المعجزة إثبات أنّه لم يكن هو: لم يكونوا على استعداد لقبول ما حدث، فقد رفضت حرّيّتهم الاعتراف به. ليس لأنّه لم يكن واضحًا، بل بسبب انغلاق تجاهه. ولهذا السبب نقول إنّه «لا يوجد أعمى أسوأ ممّن لا يريد أن يرى». وهو ما يعني أنّ الحرّيّة لها دور أساسيّ في المعرفة.
الحرّيّة لا تبدأ دورها فقط في الطريق إلى ما اكتشفتُه بعد أن اكتشفته، ولكن أيضًا وقبل كلّ شيء في الاكتشاف نفسه. لهذا السبب، فإنّ بساطة القلب حاسمة في المعرفة. وروايتا باستور والأعمى لا تتعلّقان بالماضي فحسب، بل تنطبقان كذلك على الحاضر. في بعض الأحيان، بعد المشاركة في بعض الاجتماعات، والاستماع إلى الرواية التي يقدّمها البعض، أتساءل: ولكن هل كنّا في نفس المكان؟ هل رأينا نفس الأشياء؟ عند سماعي توصيفات مختلفة يبدو لي أنّ نفس الأشياء لم تحدث. وأتساءل: ألأنّ البعض قد طوّر موقفا نقديّا أكثر دقّة أم لأنّهم ليسوا مستعدّين للرؤية؟ من دون انفتاح، ومن دون رغبة في الحرّيّة، نحن حقًّا لا نعود نرى الأشياء التي تحدث. هذا ما درسناه في مدرسة الجماعة: «يمكننا أن نمرّ قرب المعجزة، والتوازن البشريّ، وعمق خبرة القداسة في الكنيسة بموقف من التباعد التامّ»،[156] أي دون أن نرى. على العكس من ذلك، يأتي آخر، وأمام نفس الأشياء، يتفاجأ بما يراه. وهذا يشهد على أنّ الحرّيّة تلعب باستمرار دورًا في المعرفة. ومن الأهمّيّة بمكان أن ندرك ذلك، لأنّه إذا حدث شيء ما ولم نعترف به (لأيّ سبب من الأسباب)، فإنّنا نفقد الأفضل، إذ نعتقد أن لا شيء يحدث، في حين أنّه يحدث. أرجو الانتباه: ليس الأمر أنّني لا أعترف به لأنّه لا يحدث. المسألة تكمن ههنا: لا أعترف به حين يحدث لأنّني أقول إنّه لا يمكن أن يحدث، وأنكر أنّه حدث، لدرجة القول إنّ الأعمى منذ ولادته لم يكن أعمى، وأنّ باستور لم يرَ ما رآه. ويجب أن نعي عنصر الحرّيّة هذا. قد تقول: ولكن إذا كان هناك شيء واضح فما حاجتنا إلى الحرّيّة؟ لا، لا، إهدأ. هناك عنصر من الحرّيّة يلعب دورا حاسمًا، وهو يلعبه الآن، في اعترافي واعترافك بما يحدث الآن أمامنا.

بروسبيري. «لقد تحدّثتَ عن التحقّق باعتباره السبيل الوحيد لإضفاء الطابع الشخصيّ على الإيمان. يبدو من طريقة حديثك عنها أنّه شيء مثير، في حين أنّنا مرّات عديدة... »

كارّون. إنّه مثير لأنّ التحقق هو من المسيح، وليس من محاولاتنا!

---

155 راجع جوسّاني، الحسّ الدينيّ، مرجع مذكور، الفصل الأوّل.

156 L. Giussani, *Perché la Chiesa*, op. cit., pp. 297-298.

بروسبيري. في الواقع، «في كثير من الأحيان نعيش التحقّق كأخلاقيّة وهكذا، في عدم تماهينا، لا نتحقّق في الواقع سوى من محاولتنا، والتي يمكنها فقط أن تثبط عزيمتنا...».

كارّون. ممتاز!

بروسبيري. «هل يمكنك مساعدتنا على فهم شروط التحقّق التي تتحدّانا أن نقوم بها؟ إذا كانت خبرة المسيح هي شيء لا عودة عنه، كونه يولّد جاذبيّة لا يمكن تدميرها ولا أستطيع الانفصال عنها، فما حاجتنا إلى التحقّق؟ وما هو بالضبط؟»

كارّون. نحن بحاجة إلى معرفة ما إذا كان ما حدث لنا صحيحًا في أيّ حالة. وهذا التحقّق هو الذي يجعلنا أكثر فأكثر يقينًا: اختبار أنّ المسيح يصلح لكلّ شيء، وأنّه قادر على الإجابة على كلّ شيء، وأنّه حقيقيّ في مواجهة أيّ تحدٍّ، وليس فقط في مواجهة تلك التي نعتقد أنّه يمكن الإجابة عليها، بل كلّ شيء! وكلّما كبُر التحدّي، ازددتُ تلهّفًا لرؤية كيف سيتدبّر الأمر هذه المرّة. لأنّ التحقّق هو من المسيح. إذا كنت أتوقّع كلّ شيء من المسيح، في أيّ حالة، عندما أفقد طفلا أو عندما لا يكون لديّ طفل، فسوف أكون متلهّفًا لمعرفة كيف سيقودني إلى الامتلاء، دون أن تتحقّق صورة التي لديّ. كيف سيقودني إلى خبرة «المائة ضعف ههنا»، وليس وفقا للصورة التي بنيتها بنفسي؟

نحن نعتقد أنّ التحقيق ليس سوى ما يدخل في صورتنا، والتي غالبًا ما تكون الصورة التي توفّرها لنا العقليّة السائدة، ولكنّها صورة صغيرة جدّا، جدّ مختزلة. هل نحن مستعدّون لقبول التحدّي بأنّ المسيح يمكنه أن يحقّقنا بطريقة تتجاوز مقياسنا؟ هل نحن مستعدّون لمنحه مساحة كي يبيّنه لنا؟ هل نمنحه الفرصة؟ وحدهم بسطاء القلب يمكنهم أن يقبلوا تحدّي هذا التحقّق، وليس أولئك الذين يعتقدون أنّ المسيح يتكيّف مع ما في رؤوسهم أو أنّ جوابه لن يكون جوابًا حقيقيّا.

بروسبيري. السؤالان الأخيران يتعلّقان بإصرارك على المكان كطريق.
«هل يمكنك توضيح نقطة المكان الطريق؟ أأيّة رفقة مسيحيّة صالحة؟ أم أنّ هناك رفقة محدّدة وما هي خصائصها؟»
«مصدر الذكرى هو الجماعة الحيّة، أي أناس مجتمعون لأنّ المسيح بينهم. لكنّ هذا المكان نفسه (الناس الذين يشكّلونه) قد يصبح اعتراضًا. كيف يمكننا تجاوز هذا الاعتراض؟»

كارّون. المكان هو الذي ولّد ويولّد المسيح من خلال أولئك الذين يلمسهم ويعترفون به. المسألة هي ما إذا كنّا معا من أجل المسيح، لأنّنا نريد أن نذهب إلى المصير الذي هو المسيح. دعونا نسأل أنفسنا: هل السبب في أنّنا معًا، على الأقل كمَيل، هو المسيح؟ من منّا يريد أن نكون معًا لمساعدة بعضنا البعض للذهاب إلى المصير؟ من يريد أن نكون معًا فقط وحصريًّا للمسيح؟ من خلال طرح هذا السؤال على أنفسنا نباشر في معرفة من هو قادر حقًّا على مرافقتنا. الخصائص واضحة جدّا، وكلّ سبب آخر لكوننا معًا غير كافٍ في نهاية المطاف. وهذا يتطلّب منّا ولاءً: «من هم أولئك الذين يرافقونني حقًّا؟ هل هم متساوون جميعًا؟» إذا كنّا نستطيع التمييز بين الطبيب الذي يجيب على حاجتنا وبين آخر يفشل في ذلك، فكيف لا يمكننا التمييز بين متى تقودنا الرفقة إلى المصير ومتى لا؟ أنحن بحاجة لحضور دورة في جامعة هارفارد؟ لنتحرّك!
من السهل تحديد المكان الطريق: لا يستدعي الأمر اختراعه، بل الاعتراف به ومؤازرته.

القدّاس الإلـهيّ

قراءات القدّاس: إشعيا 50، 4-7، المزمور 21 (22)، الرسالة إلى فيليبي 2، 6-11، لوقا 22، 14-23، 56

عظة دون خوليان كارّون

في أسبوع الآلام هذا، توثّق الكنيسة الطريقة التي اختارها الله لجذب حرّيّتنا دون أن تُلغيها. «المسيح يسوع، إذ هو في صورة الله لم يكن يعتدّ مساواته لله اختلاسًا، لكنّه أخلة ذاته». أسلوب الله هو تجرّده من كونه الله آخذًا «صورة الخادم». وهكذا، في قبوله صورة الخادم، ووضع نفسه كلّها بين يدي أبيه، وفقا لتدبير كان أيضًا دراميّا بالنسبة إليه، لأنّه يمرّ من خلال تسليم ذاته وموته، أظهرت لنا المسيح ما هو الأسلوب الوحيد الذي يعتبره الله مناسبًا لجذبنا: تسليم ذاته تعالى، وحبّ حتى النهاية. «ليس لأحد حبّ أعظم من هذا: أن يبذل الإنسان نفسه من أجل أحبّائه».

هذا هو الحبّ الذي يضعه الله أمام أعيننا. والكنيسة تعطينا كلّ هذا الأسبوع للنظر إليه، لكي ينفعل كلّ واحد منّا بالطريقة الوحيدة التي يؤمن بها الله، أي حبّه لنا. ليس هناك شيء آخر يمكنه أن يحرّك حقّا الحرّيّة، يمكنه أن يجذبها، إلا هذه الطريقة. وهذا يشير إلى الطريق لنا جميعًا أيضًا، نحن المدعوّين إلى المشاركة في نفس الأسلوب في علاقتنا مع جميع البشر، لننقل إليهم جميعًا ما أعطيناه كنعمة: شغف بمصيرهم، مثل شغف المسيح بنا، واهتمام بكلّ واحد منهم، وفقا للطريقة التي اهتمّ فيها الله بنا. هذه هي مساهمتنا في العالم، التي لا يمكن أن تكون مختلفة عن الطريقة التي تحرّك بها الله. عندها يجتاح الامتنان حياتنا لرؤيتنا حبّ الله لنا، كيما يمكننا نحن أيضًا أن نشهد به للجميع، متحرّرين من أيّة نتيجة، كما أسلم هو نفسه واضعًا كلّ شيء بين يدي أبيه.

إشعار

خوليان كارّون

الصندوق المشترك

من المؤثّر دائمًا تلقي رسائلكم حول الصندوق المشترك.
«للأسف الشديد قرأت عن حالة مدفوعاتي للصندوق المشترك في العام الماضي. كنت ولا أزال على علم بذلك. فعائلتي تمرّ بضائقة اقتصاديّة كبيرة وقد انخفضت الإيرادات – التي كانت قليلة أصلا – بسبب تقلّص سوق العمل عند زوجي، وفشلت محاولات إيجاد وظائف جديدة. وقد نتّخذ قرارات بشأن منزلنا أيضًا. لذلك، فإنّني سأقلّص إلى النصف مساهمتي الضئيلة بالصندوق المشترك، على أمل تيسير إخلاصي لهذه البادرة. أريد أن أظلّ مرتبطة بالصداقة التي ربّتني ولا تزال على معنى الحياة».
قرأت عليكم هذه الرسالة لأنّ حقيقة أنّ شخصًا لديه بساطة القول إنه بسببّ عدم قدرته على الحفاظ على ما تعهّد به، سيقلّص مساهمته في الصندوق المشترك، أن يكون هناك بيننا أشخاص لديهم هذه الحرّيّة إنّما يعبّر عن وعي لدى أناس بالغين يملأني صراحةً بالتأثّر.
ومن بين المساهمات التي تلقّيتها عند إعداد الرياضة، تأثّرت بخبرة الصندوق المشترك كما وصفها بعضكم:
«عندما أطلق دون جوس اقتراح شراء "حجارة الطوب" لاقتناء "القلب الأقدس" وتوفير "منزل" للحركة، ذهبت أنا وزوجتي، اللذين لم تتح لنا فرصة شراء منزل، لطلب قرض من المصرف».
«عندما أفلست شركتي، بقيت سنة كاملة تقريبًا دون عمل، وعلى مدى السنوات الخمس عشرة اللاحقة كان عليّ أن أدفع جزءًا كبيرًا من دخلي لتسديد الديون الناجمة عن الإفلاس. طوال هذه القضيّة كلّها، الشيء الذي أردنا دائمًا القيام به ووضعناه قبل أيّ شيء آخر تقريبًا، كان التسديد لصندوق الأخويّة المشترك. وبطبيعة الحال، كان علينا أن خفض المبلغ وحتى اليوم لم نتمكّن من العودة إلى المستوى السابق، ولكنّنا قمنا بذلك دائمًا. لماذا؟ لأنّنا نؤمن بأنّ دعم هذا الحضور، هذه الحياة، التي هي مباشرةً الحركة وبشكل غير مباشر الكنيسة، إنّما هي الضمانة الحقيقيّة لحياة أطفالنا وأحفادنا وأن تبقى ماديًّا حضورًا يمكن اللقاء به واختياره كما أمكننا نحن لقاؤه. هذا ما يقوله شخص فهم مدى ما نعيشه معًا.
وكتب عريسان شابّان: «إنّ قرار الاستجابة لدعوة الربّ نشأت ونمت في مسيرة إيمان نتبعها معًا منذ سنوات. في هذه المسيرة، كانت رفقة الحركة أساسيّة لنا. بدون هذه الرفقة، التي تساعدنا باستمرار على النظر إلى أعماقنا وبالتالي على اكتشاف أنّنا في علاقة مستمرة بالسرّ، لما أمكننا تصوّر هذه الخطوة بالنسبة لنا. وإذ نُعرب عن امتناننا للقاء الذي قمنا به، نودّ أن نسهم في نموّ الحركة على أمل أن يتسنّى لغيرنا أن تصلهم النعمة التي وصلت إلينا. ولهذا السبب نريد تقديم هبة لدعم احتياجات الحركة ونواياها».
هناك من يشعر بالامتنان لأنّه تمكّن من التخرج بعد مشاقّ مختلفة؛ ومن بلغ الستّين من العمر وقدّم هبة لإرساليّاتنا، «حتّى يكون المسيح معروفًا ومحبوبًا بشكل أكبر في العالم». هناك مجموعة من الأخويّة قامت بدفعة إضافيّة بمناسبة الذكرى الخمسين لزفاف عضوين من المجموعة، «كعلامة امتنان لحياتهم في الاكتشاف اليوميّ معًا للحضور الذي صار جسدًا، والذي يحوّل الأيّام والزمن».
وأخيرًا، فوجئنا بصديق اتصل بسكريتاريّة الأخويّة قائلًا إنّها السنة الأولى التي لا يستطيع فيها المجيء إلى الرياضة لأسباب صحّيّة. وقال إنّه لا يزال يريد أن يشارك ما في وسعه، لذلك دفع دفعة إضافيّة لرسوم «الرياضة».

الرسائل الواردة

أعزّائي،
مرّة أخرى تمنح العناية الإلهيّة جميع أعضاء أخويّة شراكة وتحرّر لفتة مكثفة تتمثّل بالرياضة الروحيّة المشتركة.
إنّها فرصة مميّزة لتعميق علاقتنا بالمسيح باعتباره معنى حياتنا كلّها، ولنجد في هذه العلاقة طريقة لقبول كلّ أخ في الإيمان، كلّ إنسان.
«ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» يكشف موضوع هذا العام على الفور عن وعي واضح بالمشقّة التي نمرّ بها سواء على المستوى الكنسيّ أو على المستوى المدنيّ.
إنّ شخص خادم الله المونسنيور جوسّاني وكريزماه يشيران إلى الإجابة على هذا السؤال. إنّنا نعيش في الحقيقة والعدالة إذا سمحنا ببروز قرار الإيمان بأن نتبع، على الرغم من قيودنا، التوجّه الذي يعطيه الله لوجودنا ولوجود الأسرة البشريّة بأكملها. وحدها الحرّيّة التي تنقاد بسماحة ليد الله تثبت أمام وطأة الزمن وتحوّلها، ليس بدون تضحية وألم، إلى فرصة لحياة أكثر كثافة وجمالًا.
أعدكم بصلواتي وبركاتي.
مع مودّتي
نيافة الكردينال أنجيلو سكولا
رئيس أساقفة ميلانو الفخريّ

عزيزي دون خوليان كارّون،
أبعث إليك بتحياتي وصلاتي من أجل نجاح الرياضة الروحيّة لأخويّة شراكة وتحرّر لهذا العام 2019.
أقف إلى جانبكم جميعًا في أيّام النعمة هذه، الحاسمة دائمًا من أجل نموّ خبرة كريزما دون جوسّاني، التي تكشف عن قدرته على الاستجابة لتوقّعات القلب من خلال سماحه للكثيرين اللقاء مع المسيح ومع الكنيسة.
الرياضة حدث في حدّ ذاته لأنّها تجعل من الممكن حدوث بداية جديدة وتؤكّد إمكانيّة استمراريّة سحر اللقاء الأوّل. لهذا السبب، يطرح السؤال الكبير «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» في الوضع الصحيح وغير المتوقّع من التواضع والرغبة في الاعتماد على الماء الحيّ لمحبّة المسيح التي تتدفّق من أجل الحياة الأبديّة (راجع يوحنّا 4، 14).
أصلّي من أجل أخويّة شراكة وتحرّر، التي تقودها أنت يا خوليان، لكي تواصل، في الإخلاص الكامل للأب الأقدس البابا فرنسيس، رسالتها بحماس وتكون علامة على دوام رحمة الربّ في الكنيسة وفي العالم.
أحيّيكم بحرارة
وأستمطر عليكم جميعًا بركة الربّ وحماية أمّ الله،
سيادة المطران فيليبو سانتورو
رئيس أساقفة تارانتو

عزيزي دون خوليان،
لقد تأثّرت كثيرًا بأنّ موضوع رياضة هذا العام هو سؤال: «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» إنّه سؤال حقيقيّ ومثير، في وقت تشهد فيه الكنيسة ساعة ألم ويهيمن ارتباكٌ عميق في قلوب إخوتنا البشر.

ومع ذلك، هناك حضور لا يمكن اختزاله يحدث بفضل النعمة، في حياة رجال ونساء حقيقيّين، ربّما في ظروف غير متوقّعة: وحده حدث «الذي هو بيننا»، القائم من الموت الذي يحيا – «المسيح يحيا» – يمكنه أن يثبت أمام وطأة الزمن».
أرافق بصلاتي وبركتي لفتة الرياضة العظيمة، كي تكون مليئة بحضوره العذب.
سيادة المطران كورّادو سنغوينيتي
أسقف بافيا

البرقيّات الصادرة

قداسة البابا فرنسيس

صاحب القداسة،
لقد شارك 22 ألف عضو من أخويّة شراكة وتحرّر في الرياضة الروحيّة السنوية في ريميني وآلاف آخرون تواصلوا معنا من 13 دولة حول موضوع «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟». بعد قبولنا دعوتكم الواردة في رسالتكم – التي نحن ممتنّون لها – «إلى تفحّص علامات الأزمنة»، تتبّعنا إحدى هذه العلامات في الحاجة الملحّة إلى شيء يثبت في هذه الفترة. وهذا ما جعلنا أكثر وعيًا لطبيعة المسيحيّة كما وصلتنا من خلال كريزما دون جوسّاني: لقاء غير متوقّع جعلنا نختبر كوننا مفضَّلين. «أنتَ عزيز في عينيّ» (إشعيا 43، 4). لقد تماهينا مع خبرة الأوّلين: «كان التلاميذ الذين تبعوه بسطاء مثلي ومثلك، لكنّ كلّ حداثة الأمل كانت متمثّلة بذاك الحضور. عصرانيّة ذلك الحضور بالنسبة لي، للأبناء، ولمن سيولدون في المستقبل، بعد مائة مليون سنة: هذا هو النصر الذي يغلب العالم، هذا هو الإلهيّ في التاريخ!» الإله الواحد الذي يثبت أمام وطأة الزمن، «ذاك الذي يحرّرنا هو شخص يحيا. إنّه المسيح القائم من الموت» (المسيح يحيا)، الذي يبقى حاضرًا تاريخيًا في مكان حياة، «الكنيسة المقدّسة»، ويصل إلينا من خلال شهود القداسة.
نعود إلى بيوتنا ونحن أكثر يقينًا بأنّه يحيا، بفضل المائة ضعف التي يجعلنا نختبرها هنا والآن: فرح وسلام وسعادة تملأنا بالدهشة. وإذ نسأل السيّدة العذراء أن تتدفّق الجدّة الإلهيّة التي لمستنا على كلّ ما نلمسه، نحن نواصل الصلاة من أجلكم، يا صاحب القداسة، والشاهد على الله الحيّ عبر الفرح الذي نراه على وجهكم كأب وقائد للشعب المسيحيّ.
عيد فصح مجيد منّا جميعًا، أبناءكم من الأخويّة.
الكاهن خوليان كارّون

قداسة البابا الفخريّ بنديكتوس السادس عشر

صاحب القداسة،
كان موضوع الرياضة الروحيّة لأخويّة شراكة وتحرّر السؤال الذي طرحه دون جوسّاني على نفسه مواجهًا ثورة عام 1968، التي تحدثتم عنها في الأيّام الأخيرة: «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» لقد عمّقنا وعينا حول اختلاف المسيحيّة كحدث جديد في العالم: حيّ أي حاضر، المسيح القائم من الموت. هو الذي يثبت أمام وطأة الزمن. يا له من تأثّر أن نقرأ في كتابكم الأخير أنّ القائم من الموت يصل إلينا اليوم في «الكنيسة المقدّسة» من خلال «شهود الله الحيّ» الذين يجعلوننا «فرحين بالإيمان»! مع شعورنا بدين لامحدود من جانبكم تجاه شخصكم، نتمنّى لكم عيد ميلاد سعيد وفصحًا مجيدًا.
الكاهن خوليان كارّون

الكردينال كيفين جوزيف فاريل
عميد دائرة شؤون العلمانيّين والعائلة والحياة

صاحب النيافة العزيز،
لقد شارك 22 ألف عضو من أخويّة شراكة وتحرّر في الرياضة الروحيّة السنويّة في ريميني وتواصل آلاف آخرون من 13 دولة. على السؤال: «ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» أجبنا بكلمات البابا فرنسيس: «إنّه شخص يحيا. إنّه المسيح الذي قام من الموت» (المسيح يحيا)، والذي يصل إلينا في تاريخيّة لقاء وملموسه. بذكرى كريزما دون جوسّاني – أبينا في الإيمان – الذي يملأنا بحماس للمسيح وللبابا، نجدّد التزامنا الشهادة للجديد الذي استحوذ علينا إلى الأبد، خالقًا – بقدر ما نستطيع – فضاءات حياة للإيمان. فصح قيامة مجيد.
الكاهن خوليان كارّون

الكردينال غوالتيرو باسيتي
رئيس مجلس الأساقفة الإيطاليّين

صاحب النيافة العزيز،
«ما عساه يثبت أمام وطأة الزمن؟» هذا ما طرحناه على أنفسنا في الرياضة الروحيّة التي جمعت في ريميني 22 ألف عضو من أخويّة شراكة وتحرّر من جميع أنحاء إيطاليا. في إرث دون جوسّاني وفي تعليم البابا فرنسيس الكنسيّ وجدنا الجواب المقنع، الذي يسمح لنا بالتغلّب على الخوف، المنتشر اليوم على نطاق واسع بين البشر إخوتنا: «حيّ أي حاضرّ». «ذاك الذي يحرّرنا هو شخص يحيا. إنّه المسيح القائم من الموت» (المسيح يحيا). هذا ما نريد أن نشهد به في الواقع اليوميّ، كأبناء «الكنيسة المقدّسة»، فرحين بالإيمان ومنفتحين على اللقاء مع الجميع. فصح مجيد.
الكاهن خوليان كارون

الكردينال أنجيلو سكولا
رئيس أساقفة ميلانو الفخريّ

شكرا أيّها العزيز أنجيلو،
على ما كتبته لنا. لقد ساعدتنا المسيرة التي قام بها دون جوسّاني على تعميق الوعي بأنّ الجدّة غير المتوقّعة والتي لا يمكن التنبّؤ بها التي حدثت في حياتنا – المسيح الحيّ – هي وحدها القادرة على الثبات أمام الزمن؛ وهذا ما نراه في ثمار حياة أولئك الذين يقرّرون مجاراة بيّنة حضوره: فرح وسلام يملآننا بالامتنان. فصح مجيد.
الكاهن خوليان كارّون

سيادة المطران فيليبّو سانتورو
رئيس أساقفة تارانتو

عزيزي فيليبّو،
مع امتناننا لصلواتك، جدّدنا استعدادنا للخضوع لجاذبيّة المسيح، مدركين أنّه وحده هو الذي يثبت أمام وطأة الزمن. هذه هي ضمانة إيماننا ورسالتنا في العالم. فصح مجيد.
الكاهن خوليان كارّون

سيادة المطران كورّادو سنغوينيتي
أسقف بافيا

عزيزي كورّادو،
كان هذا الوقت المأساويّ بالتحديد في حياة الكنيسة فرصة ثمينة كي ندرك أنّ جهودنا ليست هي التي تثبت أمام وطأة الزمن، بل انتصار المسيح، «ذاك الذي بيننا»، والحاضر في تاريخ اليوم كما قبل ألفي سنة. فصح مجيد.
الكاهن خوليان كارّون

في رفقة الفنّ

إشراف ساندرو كييريتشي

(دليل لقراءة الصور المأخوذة من "تاريخ الفنّ" والتي تصحب الاستماع للمقاطع الموسيقيّة الكلاسيكيّة عند الدخول والخروج)

اللوحات الجداريّة لكنيسة سيكستين (من القرن الخامس عشر)

قام بتنفيذ مجموعة اللوحات الجداريّة العائدة للقرن الخامس عشر على جدران كنيسة سيكستين بين عام 1481 وعام 1483 بعض أعظم فنّاني عصر النهضة. وكان البرنامج الأيقونيّ يتضمّن سلسلتين من المشاهد تصوّران، على التوالي، حلقات مأخوذة من حياة موسى وحياة يسوع، وضعت بالتوازي وتتميّز بتبادلات متعدّدة. هذا وقد تمّ تدمير المشهدين الافتتاحيّين – ولادة وانتشال موسى وميلاد المسيح – من أجل إفساح المجال أمام لوحة الدينونة لميكيلانجيلو على الجدار الخلفيّ. ويبدأ المسار على الجدران الجانبيّة مباشرة من جدار الدينونة، حيث توجد مشاهد حياة موسى على الجانب الأيسر، ومشاهد حياة المسيح على الجانب الأيمن. أمّا المشاهد النهائيّة، الواقعة على جدار المدخل، فهي من عصر لاحق. كلّ مشهد يجمع، في شبه شريط أفلام، عدّة مشاهد.

مشاهد من حياة موسى

1. بياترو بيروجينو، **وداع موسى لحميه يترو:** رحلة موسى إلى مصر؛ ختان ابن موسى (سفر الخروج 4، 18-26).

2. ساندرو بوتيتشيللي، **مشاهد من حياة موسى:** قتل المصريّ؛ اللقاء مع بنات يترو؛ العلّيقة المتّقدة؛ موكب الشعب اليهوديّ وهو يغادر مصر (سفر الخروج 2، 11-22؛ 3، 1-12).

3. كوزيمو روسيللي، **عبور البحر الأحمر:** الفرعون يتشاور مع قادة جيشه. الجيش المصري يغرق في مياه البحر الأحمر. احتفاء اليهود بالنصر (سفر الخروج 14، 5-31).

4. كوزيمو روسيللي، **لوحا الشريعة والعجل الذهبيّ:** تسليم لوحي الشريعة إلى موسى؛ مياه المحنة والخصومة؛ عبادة العجل الذهبيّ؛ موسى يكسر لوحي الشريعة؛ موسى يعرض لوحي الشريعة على الشعب (سفر الخروج 24، 12-17؛ 32، 1-35؛ 34، 1-4).

5. ساندرو بوتيتشيللي، **عقاب قورح وداثان وأبيرام:** محاولة رجم موسى؛ رفض تقديم البخور؛ عقاب الثوار (سفر العدد 16، 1-35).

6. لوكا سينيوريللي، **تثبيت الشريعة وموت موسى:** تجمّع اليهود حول موسى؛ تقسيم الأرض الموعودة بين قبائل إسرائيل؛ تسليم عصا السلطة إلى يشوع؛ الملاك يظهر موسى الأرض الموعودة من جبل نيبو؛ الهبوط من الجبل؛ موت موسى (سفر التثنية 33 و34).

7. هندريك فان دن بروك (القرن السادس عشر) **النزاع على جسد موسى بين الملاك ميخائيل والشيطان،** عن أصل لدومينيكو غيرلندايو.

مشاهد من حياة يسوع

1. بياترو بيروجينو، **معموديّة يسوع:** الآب يبارك؛ موعظة يوحنّا المعمدان، معموديّة يسوع؛ عظة يسوع (متّى 3، 13-17؛ مرقس 1، 9-11؛ لوقا 3، 21-22؛ يوحنّا 1، 29-34).

2. ساندرو بوتيتشيللي، **تجارب يسوع:** تجارب يسوع الثلاث. طرد الشيطان؛ الملائكة يعدّون الطعام ليسوع؛ يسوع محاطا بالملائكة (متّى 4، 1-11؛ مرقس 1، 40-45؛ لوقا 5، 12-16).

3. دومينيكو غيرلندايو، **دعوة التلاميذ:** دعوة بطرس وأندراوس؛ معجزة الصيد، دعوة يعقوب ويوحنّا (متّى 4، 18-22؛ مرقس 1، 16-20؛ لوقا 5، 1-11).

4. كوزيمو روسّيللي، **عظة الجبل وشفاء الأبرص** (متّى 5 و7؛ لوقا 6، 17-49؛ متّى 8، 1-4؛ مرقس 1، 40-45؛ لوقا 5، 12-16).

5. بياترو بيروجينو، **تسليم المفاتيح:** الجزية؛ محاولة رجم يسوع (متّى 17، 24-27؛ يوحنا 8، 31-59؛ 10، 31-39).

6. كوسيمو روسيللي، **العشاء الأخير:** العظة في البستان، القبض على يسوع والصلب (متّى 26، 17-29؛ مرقس 14، 12-25؛ لوقا 22، 7-23؛ يوحنا 13، 21-30).

7. ماتيو داليتشي (القرن السادس عشر)، **القيامة**، عن أصل للوكا سينيوريللي.

تنفيذ الصور ج. فانيني وج. رولي لصالح Scripta Maneant.
حقوق الطبع والنشر حاكميّة دولة الفاتيكان– مديرية متاحف الفاتيكان.
جميع الحقوق محفوظة.

تعليقات دون جوسّاني
على موسيقى الدخول

النصوص مقتبسة من كتاب "سبيرتو جنتيل". دعوة للاستماع إلى الموسيقى الرائعة بقيادة لويجي جوسّاني، الذي حرّره ساندرو كييريتشي وسيلفيا جانباولو، دار نشر بور، ميلانو 2011.

الجمعة، 12 نيسان/أبريل مساءً – بيتهوفن، السمفونيّة رقم 7
«إنّه تآلف موسيقيّ يملأ تقريبًا المقطع بأكمله ويهيمن عليه، في حين أنّ للحن إيحاء وثراء في التنوّع بحيث ينبغي للمرء أن يشعر بالسعادة، ولكن لم يعد ذلك ممكنًا، فموضوع القدر والحزن يهيمن على موضوع الحياة كثابتة خلفيّة» (الصفحة 96).

السبت 13 نيسان/أبريل، صباحًا – بيتهوفن، رباعيّة على الكمان لا مينور، أوبرا 132
«"من الجميل أن نسبّح الربّ"، من الجميل أن نعترف به! دعونا نستمع، ولو لدقيقة واحدة، إلى بيتهوفن ونقول، في داخلنا: ما أجمله! جمال الاعتراف بالربّ هو من هذا النوع، ولكنّه أعمق، مثل الجذر الوتديّ الذي يعمّق مظهر الشجرة التي نبتت لتوّها. أعمق بكثير وأكثر ثباتًا بلا منازع: شكل إجماليّ تجاه أشكال جزئيّة وسريعة الزوال» (ص 175).

السبت، 13 نيسان/أبريل، بعد الظهر – موزارت، كونشيرتو على البيانو وأوركسترا رقم 20
«الجمال هو حلقة وصل بين الحاضر والأبديّ، لذا فإنّ الحاضر هو علامة على الأبديّة، هو بداية الأبديّة، هو الخبرة الأوليّة للأبديّة، وبالتالي فإنّ طعم الحياة يبدأ في الخفقان بنوطة لا لبس فيها، نوطة الدائم: العدالة، الحبّ. وبكلمة واحدة: الحاجة إلى الرضا الكامل، والحاجة إلى اكتمال الأنا (بفضل حضور بهيج فقط تصبح قلوبنا بهيجة بدورها، فوحدنا، لا يمكن أن يزهر الفرح فينا)» (ص. 64).

الأحد، 14 نيسان/أبريل، صباحًا – موزارت، صوناتات على البيانو والكمان ك 304، 376، 378، 301
«تنبع موسيقى موزارت الجامحة، المخترقة، المقنعة [...] من خبرة المجّانيّة المطلقة لرحمة الكائن الأسمى، الذي ينحني باستمرار على فقر الإنسان الدائم. [...] ما عساها تكون هذه الرحمة، إن لم تكن الرغبة والكرب تقريبًا – الكرب في مظهره الأسمى، وهو المسيح على الصليب – الذي يأخذ السرّ الإلهيّ بشأن سعادتنا؟ ليس في الآخرة فحسب، بل اليوم! اليوم، الآن» (ص. 86).

الفهرس

رسالة البابا فرنسيس 3

الجمعة، 12 نيسان/أبريل، مساءً

المقدّمة 4
القدّاس الإلهيّ – عظة دون ستيفانو ألبرتو 12

السبت 13 نيسان/أبريل – صباحًا

التأمّل الأوّل – «طوبى لأنقياء القلوب،
فأنّهم يعاينون الله" (متّى 5، 8) 13

القدّاس الإلهيّ – عظة صاحب السعادة ماتيو تزوبّي 25

السبت، 13 نيسان/أبريل، بعد الظهر

التأمّل الثاني – «والغلبة التي يُغلب بها
العالم هي إيماننا" (رسالة يوحنّا الأولى 5: 4) 28

الأحد، 14 نيسان/أبريل، صباحًا

الجمعيّة العامّة 41

القدّاس الإلهيّ – عظة دون خوليان كارّون 51

إشعار 52
الرسائل الواردة 53
البرقيّات المرسلة 55
في رفقة الفنّ 58

© 2019 أخويّة شراكة وتحرّر، نصوص لويجي جوسّاني وخوليان كارّون

الترجمة من الإيطاليّة: كميل عيد

صورة الغلاف: المسيح في اليمبوس يحيي المختارين (القرن الخامس عشر).
كنيسة القديس سباستيانوس، Lanslevillard، فرنسا. © مكتبة الصور دي أغوستيني/ سكالا، فلورنسا.